دار الكتب
رسول الخطيئة
رسول الخطيئة
شريف سالم
دار الكتب
شريف سالم

رسول الخطيئة

"رواية"

شـريف سـالم

إهداء خاص

إليكما يا أمي وأبي على كل ما قدمتماه لي منذ نعومة أظافري

إليك يا زوجتي الحبيبة هنوه على حب وصدق مشاركتي الرحلة

إلى ابني وقرة عيني عمر الذي أطال الله به عمري

إلى شقيقيَ وصاحبيَ رامي وعمر

إلى أصدقائي وائل عبد حليم، الكابتن مشهور أحمد هندي، مصطفي حمدي

للمساندة والمشاركة بصدق

إلى الأستاذة دنيا جبرة على ما قدمته من تشجيع ونقد

وفي النهاية

تبقى هبة رياض .. بداية كل رواية ونهايتها

إهداء ..

إلى الذنب الذي لم أرتكبه

و الفضيلة التي فعلتها مرغمًا

و الرب الذي عصيته بغفلتي

و الشيطان الذي أدار اللعبة

هل تلعن قصة حياتك؟

هل تشعر في نقطة ما أنك قضيت رحلة من الفشل ؟

هل تعتقد أنك لو بدأت من جديد، ستكون قصة مختلفة ؟ ستكون قصة ناجحة ؟

هل استيقظت يومًا على حلم أن تتغير؟ وهل استطعت ؟

هل تشعر بأن الحياة ظالمة ؟

وأن السعادة في يد من لا يستحقها ؟ الذين هم لا يرتكبون إلا كل ما هو فاسد ؟

هل رأيت السعادة في جسد عاري عبر زجاج خمر يرقص بين الدخان ؟

هل لمستها في صلاة أو طاعة لله ؟

هل تعلم أساسًا ما يجعلك تشعر بالرضا ؟

هل تعلم من انت ؟

هل عندما تنظر إلي المرآة، فتجد نفسك التي تريدها وتعلمها جيدًا ؟

هل تعلم أي شيء؟

أم أنت من الملايين الذين يعيشون فقط لحرمانية الانتحار؟

هل تمانع أن أريك شيئًا لم ترَهُ من قبل ؟

إذن

اقرأ

هذه قصتي

اسمي .. خالد حلمي

الفصل الأول

الطريق حارة واحدة

صوت المنبه

أغلقه، ثلاثين ثانية من الهدوء وأبدأ في الاستيقاظ، السادسة والنصف صباحًا، صوت أمي تخرج من غرفتها متجهة إلى الحمام ثم المطبخ ثم إلى غرفتها مرة أخرى، ذلك الروتين اليومي الذي يرسم خريطة تشبه خرائط الجغرافيا على البلاط والسجاد ثم السراميك، ما بين مرتبة السرير إلى حوض الحمام إلى رخام المطبخ، كل يوم في ثلاثين عام هي سنوات عمري، أرى نفس المشهد،

ثم يبدأ دوري لرسم خريطتي المنزلية، الحمام ثم السفرة لتناول الإفطار الذي أعدته أمي وهو نفس ما أتناوله تقريبًا طوال الثلاثين عام ثم الغرفة لأرتدى ملابسي وأذهب لعملي ...

أرتدى أول ثلاثة أشياء تقع في يدي وأنزل إلى الشارع، لا أتطلع لأناقة ولا أهتم بالتفاصيل ..

أسكن في شارع شهير اسمه باب البحر بجوار ميدان رمسيس إن كنت من روّاد وسط البلد وذهبت يومًا لشراء حلوى سبوع أحد أقاربك فمن المؤكد أنك زرت ذلك الشارع.

أتمشى إلى ميدان رمسيس أكثر أماكن المجرة ازدحامًا والمكان الوحيد الذى يضيق كل يوم أكثر وبالرغم من ذلك مازلت تجد فيه مساحة لتمشى مع فرصة كبيرة لتصطدم بشخص يقرر أن تكون أنت الفأل السيء لليوم فيقرر الاشتباك معك، أو لص يجد قوت يومه في عشر جنيهات في جيبك أو هاتفك المحمول الذى بليت الأرقام على أزراره في عصر الهواتف التي تعمل باللمس، أو أن تكون ضحية متحرش من

شخص ينزل اللعاب من فمه كالشلال، و إن هربت من كل ذلك فأهلاً بك مع الباعة الجائلين الذين إذا أدخلت يدك في جيبك لكى تخرج منديلاً يقطع الطريق أمامك ليقول "آخرها عشرين ، و النبي يا بيه، نفعنا " في النهاية أجد طريقي إلى الميكروباص الذى يقلني إلى عملي في شارع جامعة الدول العربية،

أعمل في حسابات أحد المحال الشهيرة هناك، ومن عملي في شارع كهذا يمكنك أن تتفهم لماذا رجل مثلى يقول إنه قد يتعرض للتحرش، خصوصًا مع نهاية العام واغلاق حسابات الشركة مما يؤدى بالتالي أن تترك العمل في ساعة متأخرة في شهر ديسمبر وتنزل لتبحث عن مواصلة إلى المنزل، فتجد على العكس فرصة نادرة كرجل أن تمشى " مشي بطّال " وتجد مصدر رزق جديد قد يجعلك تقضى الليلة بجوار مكان عملك، فرصة رائعة ولكن لا..... شكرًا،

أعود إلى البيت لأشاهد التليفزيون قليلاً وأجلس أمام الكمبيوتر بعده ثم أنام.
يوم الجمعة تجتمع العائلة، أنا بالنسبة للمنطقة ابن حلال " ماشي جوة الحيط " وليس لي أصدقاء إلا من كانوا معي في المدرسة، وتفرقنا وإن قابلت أحدهم في الطريق فيكون لقاءً سريعًا في كل شيء على طريقة : " ازيك عامل إيه طمنا عليك " كلمة واحدة تقال بدون أن نتوقف ثم يجد كل منا طريقه، كما أنا مثالي وحياتي تشرق بالسعادة..
حتى جاء الخبر ..
عودة عماد بدوي...!
من هو ؟

هل تعرف وأنت في المدرسة، ذلك الشاب المؤذي المدلل ابن الكلب الغنى الذي يجمع مجموعة من أبناء الكلب الأخرين ليكوّن شيئًا مثل العصابة، لا يفعلون شيئًا سوى جعل أيام الدراسة تحمل ذكريات بغيضة، تتمنى أن تشتم هؤلاء " البهائم اللى بيخلفوا ويرموا "

يفعل كل ما يجعله رجل في سن تعني الرجولة له سيجارة وشتائم بذيئة والذهاب لكي يقف أمام مدرسة البنات لتجد من حظك أنه يترك بنات المدرسة جميعهن ويصاحب أختك لتنفجر غضبًا وتتمنى أن تضع الطين فوق رأسك، قبل أن تدرك أنها طريقة جيدة ليرحم أهلك في المدرسة ويكون وقتها الملاك الحارس لك فتضع الإريال على رأسك بكل فخر وتنتهي القصة بأن تنتهي المرحلة الثانوية على خير والجامعة تفرق الجميع.

هذا هو
كان أهله في إحدى الدول العربية و عاد وحده مرة أخرى لمصر و الشارع ليبحث عن ذكرياته أو عن من يساعده في قتل الوقت بصورة مسلية، وكم هذا سهل طالما أنت غني، فأفضل الأصدقاء هم الذين يشترون بالمال، طالما معك هذا المال فأنت تمتلك أخوة وفي بعض الأوقات " بودى جارد" ، أما إذا كنت لا تملك شيئًا فتضع دائمًا أصدقائك في اختبارات صعبة كمثال أن يختار الذهاب معك في مشوار هام، بدلاً من متابعة فيلم للفنانة زوزو شكيب، أو بين أن يحضر عزاء أحد أقاربك بدلاً من متابعة مباراة غزل القناة و بلدية بنى سويف، صديق الحق هو صديق مصلحة مادية مشتركة.
ستجد دائمًا أقرب أصدقائك يجمعكم شيء مشترك ككرة القدم أو الفن أو المخدرات، ولكن لا صوت يعلو على صوت المال، وكل صديق وله ثمنه.

يعيب شارعنا أنه ضيق، فمهما حاولت أن تتفادى أحد ستجد نفسك في حضنه، وجدته قادم، تغير كثيرًا، ملامحه أصبحت أكثر حدة وشفتاه باهتتان بعض الشيء وظهر بعض الشعر الأبيض في جانبي رأسه، لم يكن يكرهني ولا أتذكر احتكاكي به كثيرًا لكنني لم أكن أطيقه بأي حال من الأحوال، أتمنى أن يلتزم بقواعد جماعة أصدقاء المدرسة المقدسة " إزيك عامل إيه طمنا عليك" ثم نرسم طريقنا إلى قدرنا في هدوء

" ياااه..... خالد "

أنا بنظرة تمثيلية بلهاء

" عماد إزيك عامل إيه طمـ...."

" واحشنى يا راجل، لم تتغير نهائي" مقاطعًا كلامي

" أهو بقي، أنت عامل إيه طمنـ...."

" أنا سألت عليك جمال وقالي إنك لسه زي ما أنت وكنت عايز أشوفك"

إنه يدمر قواعد مقدسة عندي منذ أعوام،

" أنا موجود أى وقت كلمني وأبقى طمني عـ....."

" أنت معاك موبايل"

لماذا لم ألتزم بالنص، طمنا عليك، طمنا عليك، طمنا عليك

" آه طبعًا خده و كلمني أى وقت، و ابقى طمنا عليـ...."

" قشطة يا خالود ماشى حكلمك و نتقابل كلنا بكرة إن شاء الله على 7 أو 8"

أنا بالتصوير البطئ

" تمام، بكرة "

" ماشى يا خالود"

ثم سكت للحظة

" و ابقى طمنا عليك يا أبو حلمى"

مبتسمًا

ثم سار و هو يلوح بيده الذى تمنيت أن أضعها في..... فمه

ما هذا الذى حدث منذ لحظات، كيف عرفنى، ولماذا لم يلتزم بقواعد جماعة الأصدقاء المقدسة، و كيف أعطيته رقم هاتفي،

و الأهم من كل هذا

مين جمال ابن المرأة سيئة السمعة دا

هذا العماد هو آخر شخص أتمنى أن أكسر عاداتى اليومية لأجله

و بالتأكيد " نتقابل كلنا بكرة" لا يعنى ملتقى الفكر الإسلأمي الحديث

بل مجموعة من اسوأ أبناء المنطقة والكثير من المخدرات و قد يرتقي الأمر إلى ما هو أكثر ..

والأسوأ من ذلك إنني نسيت أن أحتفظ برقم هاتفه حتى لا أرد على مكالمته

هذا يعنى أننى لن أستطيع أن أرد على أى رقم غريب لمدة يومين على الأقل

ذهبت إلى المنزل، غذاء، تلفزيون، كمبيوتر، السرير

أنظر إلى السقف

لما لم أتجاهله

لما لم يتجاهلنى، لما ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

اذهب كل يوم إلى العمل الذى يبدأ في الثامنة صباحًا كما قلت في مجموعة محلات شهيرة، هي ملك "الحاج" و في عالم البيزنس الألقاب تلخيص لكل شيء، فهناك "المعلم سماح" و "الحاج عبد الهادي" و "عزت بيه" إلى آخره، و يمكنك تلخيص حجم الأملاك من ذلك اللقب، فلقب "الحاج" يتفكك إلى أربع أو خمس "معلمين" و هكذا البيه أعلى ثم الأعلى إلى ما تبقى في الألقاب.

المهم أن تلك الألقاب خاصة تعبر عن أن البيزنس " في بيتها " أي أن كل من يعمل في الفروع من أقارب أو أبناء الحاج الذي نظرًا لأن ربنا فتحها عليه، فتزوج خمس وسبعين مرة و يملك حوالي ثمانمائة ابن و ابنة و لا يدري عدد النساء التي على ذمته الآن، و لأن كله " ابن كار و عايز يبقى زي الحاج بياع" فلا أحد يقترب إلى تلك المهنة البغيضة، فالمحاسبة ليس بها خيال أو إبداع، أرقام و أرقام ثم أرقام، ولولا أن الحاج يرى إن في كل شركة كبيرة قسم حسابات لكان أتى بشحته ابن أخته وقام بكل هذه الحسابات بيده في ساعة، لكن لكرم أخلاقه تركها لهؤلاء الغلابة المحاسبين، و للصراحة لم آتي لهذه المهنة بعد " انترفيو" مع الموارد البشرية ثم مقابلة مع الحاج الذى سألني " أين ترى نفسك بعد 5 سنوات" لكن وحيد زوج أختي الوحيدة سامية هو الآخر معلم عند الحاج، فرشحني لتلك الوظيفة حتى لا تخرج نقود المحلات لحد غريب، ووحيد أكبر في العمر من أختى بأكثر من عشرة أعوام، على أي حال من الأحوال أُعتبر بشكل أو بآخر جزء من معارف صاحب تلك التكية.

الساعة الواحدة وأنا في العمل، يرن الهاتف، رقم ليس مسجل، إذن عماد، ولكن الخوف أن يكون أحد الفروع يتصل بي للسؤال عن شيء، سأتركه، ولو كان موظف أو شيء يرتبط بالعمل فبالتأكيد سيتصل على هاتف العمل، يرن مرة أخرى، أنظر إلى الهاتف أرى في ذهني صورًا لعماد يعرض علي زجاجة خضراء ويضحك أنا آخذها منه.

سمعتي..... لاااااااااا،

قليلاً ويسكت الهاتف، رقم آخر يظهر على شاشة الهاتف، لن تفلح تلك المحاولات معي، أنا أعرف تلك الألاعيب، رقم آخر، ثم يسكت الهاتف، أضعه في الشاحن وألتفت إلى تلك المجلة التي أمسكها، وجدتها وسيلة جيدة لتضييع آخر ساعات العمل الممل، حسام زميلي في المكتب بصوت عالي،

" خالد، عبد المجيد من فرع مدينة نصر كان بيكلمك"

" على الموبايل"

هو " أكيد يا فالح، شوفوا يا فالح عايز إيه، تقريبًا حيغيروا أمين الخزن فعايزينك في الجرد معاهم"

سكت، هذا يعني أنني سوف أقوم بالرد على الهاتف،

إذن هي المواجهة، أكيد بالمبرر، لن أقول له أنت سيء وماما تمنعني من الخروج مع هؤلاء الذين يمضون اليوم في الهرش بالمفتاح في أذنهم ثم إلى أنوفهم،

يرن الهاتف...

أنظر إلى الشاشة للحظة، أرفعه إلى أذني

" ألو "

بصوت مرحب " أللووا"

"عماد"

بصوت يملأه السعادة بدون داع

"عماد مين يا عم"

الحمد لله

" إزيك يا عبد المجيد "

المتصل بأكثر سعادة

"عبد المجيد مين يا راجل"

مستطردًا ...

" أنا جمال يا عم، أنت نسيتني"

" جمال مين ؟ "

محدثًا شخصًا بجانبه

" دة نسيني، أنا يا عم جمال اللي كنت معاك في المدرسة"

ابن المرأة سيئة السمعة،،،، لا أتذكر من هو ولكنى أعرف ماذا سيفعل

"عماد والشباب معايا، وكلنا عايزين نشوفك"

بصوت باهت لشخص ميت " وأنا كمان،،،، والله"

" طيب النهاردة سهرانين في بيت عماد وكلنا مستنيينك"

" أنا النهاردة مرتبط بميعاد ويمكن أتأخر "

" مفيش مشاكل معأنا حنسهر لمتأخر"

يا برود الست الحاجة

" يبقى لو كدة حجيلكوا إن شاء الله"

يرد بكل برود وهو يضحك بكل استفزاز

"طب متتأخرش"

"ححاول إن شاء الله "

يسكت ويستمع لشخص ما بجانبه ثم يضحك ضحكة بلهاء

" و.. أبقى طمننا عليك"

ثم فاصل من الضحك الهستيري الأبله

أغلق الهاتف،

أنظر إليه قليلاً،

آجلا أم عاجلاً كان سيحدث،

لن أذهب، سينزعجون مني، ثم يتركوني لحالي

تلك خطوات بسيطة قد يتخللها محاولة الاتصال بي عدة مرات وقليل من الإصرار على عدم الرد منى أو عدم الاهتمام،
يأتي المساء، تلفاز كمبيوتر ثم سرير،
هاتف على وضع الصامت
ما أجمل الحياة...

صوت منبه ..
الساعة السادسة والنصف
أنظر إلى الهاتف، ثلاث مكالمات فائتة فقط من رقم ليس ذلك الجمال، أعتقد أنه عماد، أبدأ اليوم كالعادة مشيًا على تلك الخريطة الأبدية، إذا سألتني كم خطوة ما بين المطبخ والحمام وغرفة النوم لن أتذكر، و قد يصعب علي رسم خريطة لتحركاتي اليومية في المنزل، ببساطة مثل أي شخص، عقلي يعرف ما يعمل بدون الحاجة للتفكير، أجد نفسى أمشى في تلك الخريطة التي لا يمكنني استدعائها في لحظة سؤال عن تفصيلها ولكن عقلي يعرف تحركاتها بدقة غير متناهية، منذ أيام الجامعة وأنا في نفس تلك الخريطة، إلى أن رن الهاتف على غير العادة، لأجد نمرة عماد، إنها السابعة إلا ربع، ماذا يريد الآن، بالطبع لن ابدأ اليوم بالرد على تلك المكالمة، الهاتف يعود للوضع الصامت، ثم أجد نفسى واقفا، لا أدرى ماذا حدث في الخريطة اليومية، كلما وضع أحد هؤلاء التعساء بصمة في يومي، كافية لتقلب اليوم رأسا على عقب، أذهب لألبس ملابسي قاطعًا على نفسي مراجعة الخريطة المقدسة، لأجد أمي تذكرني بأن الإفطار على المائدة
" مش حتفطر ولا إيه يا خالد"
" حالبس وآكل يا حاجة"

" اشمعنى النهاردة "

" أصلي مستعجل عايز أروح الشغل بدري "

" طيب ربنا يوفقك يا عنيا"

أجلس لأفطر، ثم أفتح الباب وأنزل متخذًا الطريق إلى ميدان رمسيس، أتوقف لشراء حلوى النعناع من أجل نفس أكثر انتعاشا وأمضي،

وإذا بي أجده أمامي مرة أخرى.

يقف عند المسجد في منتصف الطريق ما بين بيتي وأول الشارع، بالطبع لم يكن يصلى فأي صلاة تلك الساعة السابعة بأي حال من الأحوال،

أمام الجامع بيت أحمد الشيخ، الذي هو بطبيعة الحال ليس شيخًا، بل هو أشهر ((ديلر)) في المنطقة، ولا أعتقد أنه أيضًا كان يشتري منه شيئًا

لم أحاول التملص منه أيضًا تلك المرة، بالطبع لم أكن أستطيع أن أقفز على طاولة العيش فوق رأس بائع الخبز الذي يقود دراجة، أو أن أختبئ في مشنة بقدونس لبائعة الخضرة حتى يمر،

" صباح الخير يا عماد"

كان واضحًا عليه أنه مستيقظ منذ سهرة الأمس، ولكن الأكثر وضوحًا هو هدوءه ونظرته الواثقة، ابتسم ابتسامة خفيفة

"كنت متأكد إنني حقابلك دلوقتي"

أنا بنظرة متسائلة

"أنت كنت مستنيني"

بهدوء شديد ولم تمحى ابتسامته

" أكيد، كنت عايز أعرف أنت زعلان مني في إيه"

أنا بنظرة من نوع " قال يعنى استغربت"

" أكيد مش زعلان منك، بس رجعت امبارح تعبان وراحت عليا نومة "

" ماشي ححاول أصدقك يا خالد، ممكن أتمشى معاك لحد أول الشارع"

أنا وقد بدأ القلق يظهر على ملامحي مهما حاولت إخفاءه

" أكيد"

أخذنا نمشي بهدوء

هو يسير واضعًا يده حول ظهره واضحًا عليه الاستمتاع بتلك التمشية

" أنت عامل إيه يا خالد، سعيد"

"الحمد لله"

" وإيه أخبارك، وأخبار سامية إيه، جوازها ماشي"

"الحمد لله ماشي"

" خلفت ولا لسة"

" لا لسة، ربنا يكرمها"

" آمين يا رب"

يقف لثانية وقد اقتربنا من نهاية الشارع

" أنا عارف أنك ما كونتش بتحبني وإحنا صغيرين، بس الكلام دا زمان واحنا صغيرين، أعتقد إن الوضع اختلف دلوقتي"

هو مستطرد

" بس أنا كنت بشوفك مختلف"

أنا بنوع من القرف الغير صريح

" الله يخليك "

هو بهدوء

" أنا مش حعطلك، بس أنا عايز أقعد معاك النهاردة"

أنظر إليه باندهاش لدرجة أن حاجبي الأيمن طار من على رأسي

"كأصدقاء، عادي"

مازال الحاجب لم يعد إلى وجهي

هو متابعًا

"النهاردة، على القهوة الساعة تسعة، مفيش مبررات ولا نمت ولا سافرت"

يلف ليأخذ عكس اتجاهي ويتابع

" يلا عشان متتأخرش على الشغل، وخد حاجبك معاك وأنت ماشي"

يسير متجهًا إلى ما يتجه إليه..

أمشي وحاجبي كان قد اختفى ما بين السحاب،

لن أسأل نفسي ماذا يريد

نحن الآن قد تعدينا تلك المرحلة منذ خمس أو ثمان صفحات

السؤال هو

لماذا لم يمت في الغربة

لماذا لم تنفجر به الطائرة وهي تقلع

أو " رشقت ببوزها وهي نازلة"

او انهارت المنطقة قبل أن يأتي

لماذا تحدث الكوارث الطبيعية فقط حين لا يحتاجها أحد،

لا أعرف أي شيء

كل ما أريد أن أعرفه

متى سيعود وجهي من رحلة الدهشة تلك ؟

أسير متوجها إلى الميدان ومنه إلى العمل، أجد نفسي أدخل، وأنا في قمة الانزعاج

أجلس لإهدأ قليلا، يأتي الشاي، أرتشف وانظر في الفراغ

لماذا أفعل كل هذا، أحس إنني أعطي الموضوع فوق حجمه، قد يكون يريد فقط التحدث كأي شخص وحيد لم يجد ضالته في هؤلاء " الصيع" الذين وهبوا حياتهم للغريزة ..

فلتسر الحياة بشكلها العادي، وسوف يظهر ما يختبيء في صدره

فلننتظر

ونرى الليلة..

أستغرق في العمل حتى لا أفكر في الموضوع، والعمل نعمة لمن يريد أن ينسى بالطبع إن كان هناك ضغوط فيه، إن كنت تفكر في شيء ما وأردت أن تنساه فانهمك في العمل، أما إذا كان يومك فارغًا مثل يومي، فتجد عماد في كل ورقة وكل وجه تراه خلال اليوم وتتخيل أنك تقود الطائرة التي أتت به وتقول "لا إله الا الله" في الميكرفون ثم تدخل بالطائرة في منزل جمال ابن سيدة الأقمار السوداء لتنهي مأساة قبل أن تبدأ.

ماذا كان ينقص حياتي ؟ قليلٌ من الإثارة!

لا أعلم .. ربما

ثم أثناء تقليبي في بعض الأوراق، جاء صوت من وراء ظهري

" إيه يا أبو نسب"

"معلم وحيد"

وحيد، في منتصف الثلاثينات، ولكن ملامحه يصعب معها أن تقول أنه شاب، حاد الملامح بالرغم من كونه طيبًا ومسالمًا، متزوج من أختي منذ أعوام ولم تشتكِ منه قط عندما تأتى ، وهو كأي معلم كريم وابن بلد وقليل المعرفة..

هو" معلم إيه بس، هو في بينا الألقاب دي"

"ماشي يا رياسة، عامل إيه والمدام عاملة إيه، منكدة عليك"

"لا يا عم ربنا ما يجيب نكد"

" استنى لما ربنا يكرمكوا بعيل، وأنت حتشوف"

يرد بنظرة لم أفهمها

" إن شاء الله يجي ونشوف"

ويستطرد...

" وأنت مش ناوى تتأهل وترسى كدة "

" منين يا عم ما أنت شايف الدنيا إزاي"

" اتجوز واقعد مع الحاجة "

" يا عم فين بس، ومنين، ومين اللي تقبل كدة "

" يا عم ملكش دعوة، إنوى أنت وألف من تتمناك، دة أنت أخلاقك الناس كلها بتحلف بيها "

" الأخلاق مابتجبش نيش يابا الحج"

" أقعد أنت أُنبر فيها، قول إنك ناوي، وأنا أجوزك في نفس الأسبوع"

خيال شاسع

"طب إديني وقت أفكر وأقولك، بس دة مش معناه إني بقول آه"

"ماشي يا خالود، أنا ورايا كم حاجة هخلصها مع الحاج وأتكل، تبقى تيجيلنا بقى مرة نغديك"

" ماشي، أسحب أمي وأجيلكوا"

" اتفقنا يا حلاوة "

" سلام يا معلم "

ثم يتركني ويمشي

أتزوج

يعود حاجبي بعد غيبة إلى وجهي مرة أخرى في شيء ما بين التهكم والاستنكار للفكرة،

أعود للأوراق

الساعة تشير للثالثة

أجمع أوراقي التي لم أفعل بها أي شيء

أترك المبنى إلى المنزل

ثم .....

عماد

الفصل الثاني

كل الطرق تؤدى إلى المجهول

الموبايل يرن

الساعة الثامنة، بالطبع هو، أجيب لكي أسمع صوته الهادئ

" أنت فين"

" في البيت"

" طيب مستنيك على القهوة كمان نص ساعة بالضبط"

"تمام"

أرتدى ملابسي، صوت أمي

" رايح فين يا خالد"

" نازل القهوة شوية "

" قهوة، دة من إمتى ؟ "

" أهو تغير يا أمى من القعدة شوية "

" آه والنبي يا ابني اطلع وشم هوا "

وتتابع

" وحتقعد مع مين ؟"

" المنطقة "

" أوعى تكون حتقعد مع عماد، أنا سمعت إنه رجع وصيّع الحتة كلهم اتلموا حوإليه"

" وهي حتتنا دي فيها حاجة تانية غير صيّع يا حاجة، أكيد حلاقيه"

"خلى بالك يا ابني أحسن دا أبوه وأمه غلبوا منه، بيقولوا كان خاربها هناك عشان كدا نزلوه مصر"

"مين اللي قال يا حاجة"

" أم ولاء كانت بتكلم أم حازم جارتهم القديمة، وبتقول إن امه بتقول لها إنها راحت منه"

" الله يطمنك يا أما، هما كانوا في السعودية؟"

" لا يا أبني، باينها قطر"

" طيب يا حاجة " ..

أرتدي الحذاء، أنظر إلى الساعة، وأنزل، المقهى ليس أكثر من 100 متر من المنزل بالقرب من منزله القديم، كنت قد سمعت أن لديهم بيت جديد من النوع الفاخر

ها هو جالس على المقهى وحيدًا، أكثر ما يخيفني منه ليس تاريخه، ولكن حاضره، أصبح هادئ وتعلو وجهة ابتسامة ثقة خفيفة دائمًا، وهو على غير باقي المنطقة يعرف كيف يختار الكلام المناسب في الوقت المناسب

القهوة كأي تصميم قهوة في مصر محل صغير وأمامه مساحة لوضع " الفرشة" وجدته يجلس داخل المحل، شيء رائع هذا سيعطينا قدر من الخصوصية، ولن يعرف أحد إنني كنت معه، أجلس دون أن أصافحه كأنني أراه كل يوم

" باشا، اتأخرت عليك"

يرد مبتسمًا

" لا خالص، أنا لسة جاي"

" طيب هايل، عامل إيه في مصر، مبسوط"

" طبعًا، المنطقة وحشاني والناس وحشاني"

" والجو الزبالة والزحمة والقرف، وحشوك برضو "

" ما إحنا اتولدنا فيها وعشنا فيها، معرفناش الكلام دة إلا لما سافرنا برة، وبرضو تفضل فيها ذكرياتك "

قلت بصوت جاهوري

" قهوة زيادة يا حمص"

ثم أنظر له

" وأنت اشتغلت إيه وعملت إيه في الإمارات"

" أنا كنت في الكويت يا خالد"

يعنى ولا السعودية ولا قطر، لماذا أعتمد على معلومات أمي، لا أعرف

ينظر إلى كوب القهوة الخاص به ويستطرد

" لفيت في كذا شغلانة اشتغل شوية وأدلع شوية، الاستقرار صعب بالنسبة لي"

وينظر إلي ويستكمل الحديث ..

" معرفش إحنا مش المفروض لما بنكبر بندور على الاستقرار، أنا لما بكبر بدور على التغيير، بحس بملل من الروتين"

يبتسم وينظر إلي :

" وبالنسبة ليك يا إله الروتين، مبسوط ؟ "

" أنا الحمد لله، أحسن من سوريا والعراق "

" أنت ليه ماجيتش لما كلمك جمال ؟ "

" الصراحة،،،،،، "

يقاطعني

" الصراحة يا ريت"

انظر إليه

" الكيمياء معاكوا مش سهلة، مش نفس التفكير والموود وكدة"

" دة عشان كدة فعلاً، ولا عشان قعدة مزاج"

" يعنى ممكن تقول إني ما بحبش الجو دة "

ينظر إليّ وبدا على وجهه الاهتمام

" وليه ما تحبش الجو دة، يا أستاذ خالد"

أنظر إليه بنظرة واثقة

" أصله حرام"

يرفع حاجبيه وينظر إليَّ نظرة ما بين الاندهاش والانتقاد

"حرام !! "

ينظر أمامه ويتمتم

" مممممممممممممممم"

ثم يرمقني بنظرة دون أن يدير رأسه تجاهي

" خالد، أنت بتصلي "

أنظر إليه وبثقة

" طبعًا، مش مسلم ! "

يتابع..

" يعني مواظب يعني مابتفوتش صلاة "

أرد وأحاول أن لا تختفي نظرة الثقة عني

" يعني بحاول أواظب وما أفوتش فرض "

يقاطعني

" يعني مواظب ما بتفوتش فرض يا خالد"

أرد عليه بشيء من العناد

" بحاول إني ... "

يقاطعني بهدوء

" يا خالد .. الرد .. يا آه .. يا لأ "

يسكت للحظة

" مواظب يا خالد"

انظر إليه و ليس لي طاقة للجدال

" لا مش مواظب"

يرد مفسرًا

" ما كلنا كدة "

أنظر له شذرا

" مين كلنا ؟ "

" الناس كلها كدة، تصلي شوية آه وشوية لأ "

أرد باستنكار

" ما أعرفش"

" خالد أنت ليه شايف إن العيال اللي بتشرب مخدرات مفيش فيهم أمل"

ويستطرد وينظر إليَّ

" أو شايف نفسك أحسن منهم يعني "

" أنا عقلي لسه معايا ومش بايعه، وباقي على صحتي "

أخيرًا تصل القهوة، أتناول كوب الماء لآخذ منه رشفة ثم أنظر له وهو يلقى بطرف عينه على تليفزيون القهوة الذي يذيع أغنية لفنانة من اللاتي تؤمنَّ بالنظرية العالمية القائلة " إن حجم نجاح وشهرة أي فنانة يتناسب طرديًا مع حجم مؤخرتها "

" كلام جميل"

ويلتفت لي

" بس كلام أهبل يا خالد، بتاع عيال إعدادي"

أنظر إليه مستنكرًا

" ليه يا عم الكبير "

" لو بصيت بعينيك بدل مخك، حتشوف إن أغلب الناس الوحشين من نظرك بيموتوا عادي مع الناس الكويسين، إلا لو واحد ضايع خالص، لكن في الآخر البشر كلهم بيعيشوا نفس العمر، وبيعيوا بنفس الأمراض، وبيموتوا من غير سبب محدد"

يلتفت إليَّ رافعًا حاجبه

" الحشيش ما بيجبش كانسر يا خالد"

ثم يستطرد..

" الصحة دي حاجة ملهاش مقياس، وما سمعناش عن موت جماعي بسبب المخدرات"

يشرب رشفة من القهوة

" أنا ما بقولش إنها حاجة كويسة، بس مش وسيلة حكم على شخص أبدًا "

أنا بصوت عالي

" يا سلاااام"

لهجتي تصبح أكثر حدة

" دة على أساس إيه إن شاء الله، إن المخدرات مش حرام وإن مش أغلب الحوادث أصحابها بيبقوا تحت تأثير المخدرات، وبعدين الحشيش دة بقى نادر، البرشام بقى أسهل من السجاير، بلاش يا عماد الـ أي كلام دة "

" دة لما يكون مجرم ، كان تحت تأثير المخدرات أو لا فهو مجرم أساسًا "

ينظر إليَّ

" لكن لو أخوك بيشرب مخدرات، أكيد مش حيبقى مجرم، حيبقى تصنيفه شاب طايش وربنا حيهديه إن شاء الله، الاختلافات دي حاجة إحنا اللي بنحطها، شيل المخدرات واحكم على الأشخاص، حتلاقي مافيش فرق الإنسان هو الإنسان، المخدرات خطيئة عادية "

ثم ينظر إلى التليفزيون

" زى المدام اللي بتغني دي"

" يا سلام، والمدام دي حد بيدمنها"

يرد مبتسمًا بدهشة

" أومال ! "

" كل خطيئة إدمان، طالما أنت مواظب عليها، وأساسية في حياتك"

أرد عليه مبتسمًا ابتسامة تعجب

"والله كل واحد ونظريته "

" وأنت نظرتك غلط يا خالد "

كدة ممكن نسب الدين لبعض، أنا ساكت من الأول لكن كدة حاااااااااا

" ماشي يا عم"

لا أعرف بماذا أرد، ماذا أقول له

" أنا بتكلم بجد، أنت شايف الدنيا غلط يا خالد"

" يبقى وجهني يا عماد يا أخويا والنبي"

يضحك وينظر لي

" أنت فاكرني بهزر"

يستطرد مبتسمًا

" طيب قوم معايا أوريك حاجة"

" حنشرب مخدرات وتوريني إنها كويسة"

" قوم بس يا أخى"

هو بصوت عالي

"يا حمص، شوية وراجعين تاني"

نخرج سويا من القهوة، ونتوجه ناحية الشارع

" يا رب تبقى التمشية بفايدة "

ينظر إليَّ ويضحك

" لو سمعت الكلام حعشيك "

نتمشى حتى نصل إلى الجامع

أنظر إليه بدهشة

" هو أنا ما صلتش من كام يوم بس اللي أعرفه إن ما فيش حاجة نصليها دلوقتى، دة غير إني مش متوضي"

ينظر إليَّ

" أنت فين دلوقتى يا خالد "

أنظر حوله

" أنا معاك يا عماد"

" لا أنت مش معايا "

" لا أنا معاك بس أنت اللي مش شايف بس، ركز حتلاقينى معاك"

يمسكني ويلف جسمي وينظر إليَّ

" إحنا حنرقص بإليه ! "

" ممكن يا خالد كفاية ألش .. أحسن ما ألعب معاك بإليه بجد"

أرد بضجر

"حاضر يا سيدي"

يحرك رأسه فيما يعبر عن الرضا عني

" ها، أنت فين ؟ "

" أنا مش فاهم يا عماد أنت عايز إيه، ممكن تسهل الموضوع عليَّا "

يرد موضحًا

" طيب"

" بص يا خالد، إيه اللي على يمينك وأنت واقف دلوقتي "

" الجامع "

"كويس في تقدم "

" وإيه اللي على شمالك"

انظر متأملا

" بيت ، عمارة "

" أيوة بيت مين ؟ "

" ناس كتير ساكنة أم غالي ، وحمادة فكري"

يكمل لي الكلام مقاطعًا

" وأحمد الشيخ "

" أكيد طبعًا "

يكمل..

" وأحمد الشيخ دة ديلر وبتاع نسوان وكل حاجة "

أرد مستفهمًا

" أيوة وبعدين "

" دة مكانك يا خالد "

يستكمل بنظرة حادة

" خالد أنت في النص، أنت مش جوة الجامع ولا قاعد مع أحمد الشيخ "

يلتفت وهو يمشى حولي في دائرة

" ودة معناه إنك من غير زعل .. فاشل.. أنت في نظر الناس كويس بس عشان مابتعملش حاجة غلط، وشايف نفسك كويس بس عشان أنت مش مع الوحشين، لكن دة غلط "

أنظر له

" معلش يا عماد بس دي هرتلة "

" أنا ما أنكرش إني في شوية حاجات غلط فيَّا بس لو كملت حبقي ناحية الجامع "
يقاطعني
" بس ما كملتش"
استطرد
" بس أنا أقرب من الجامع أحسن من إني أكون ناحية أحمد الشيخ "
يقاطعني
" تفكير غلط برضو"
" أنت فاكر أنك أسهل لك تكون في النص عشان تكون أقرب للجامع، بس دة ما يمنعش إنك قريب من أحمد الشيخ، واللي مانعك مش عشان إنك عايز تروح الجامع، وإلا كنت روحت له، بس عشان أنت بتشوف الجانب الآخر حيبوَّظ سمعتك أو خايف تجرَّب "
أرد بعصبية
" إنك تكون في النص أحسن ما تروح الناحية اللي فيها أذية ليك ولأهلك، إنك تحاول تروح ناحية الجامع دي سهلة، بس شوية إرادة، ودة حال الناس كلها "
أستطرِد..
" كلنا عايزين نبقى كويسين، ناس كتير تتمنى تكون مكاني عشان تبقى أقرب للصح، وبتندم على كونها في الاتجاه الآخر، اللي ببساطة بيروح فيه ما بيرجعش"
اسكت لحظة وهو ينظر إليّ
" أنا عارف إن في حاجات كتير بعملها غلط، بس في النهاية أنا مش وحش أبدًا، ومقتنع باللي بعمله، وحبقي أحسن"
ينظر إليَّ بعمق ويسكت للحظات، ثم يتكلم
" شوف يا خالد أنا عارف نظرتك ليا وفاهم كلامك، ونيتي إنني أساعدك، لأني فعلا شايفك محتاج مساعدة "

أنظر إليه متعجبًا مستغربًا مستفهمًا

" عماد أنت شارب حاجة، مين فينا اللي محتاج مساعدة يا عماد، أنت ولا أنا"

يرد بقوة

" لا أنت يا خالد"

ويكررها بحزم رافعا سبابته تجاهي

" أنت يا خالد"

ويستطرد بأسلوب يظهر عليه مزيج من الاهتمام والانفعال

" أنت مش شايف نفسك كويس، ومش عارف أنت فين بالضبط ومحتاج تفوق فعلاً "

يأخذ نفسًا عميقًا

" خالد أنت في النص، أنت ما بتعملش حاجة غلط، بس برضو ما بتعملش حاجة صح، سايب نفسك للتيار والروتين، ومحدش بيخش الجنة من غير ما يعمل حاجة كويسة، وأنت نفسك قايل أنت بتعمل حاجات غلط كتير، يعني دلوقتي في النص بعيد عن أحمد الشيخ، بس في النهاية حتلاقى نفسك على الخازوق اللي جنبه "

" مقياسك للجنة والنار مع الناس مش مع ربنا، إن الناس بيقولوا عليك كويس عمره ما حيدخلك الجنة يا حبيبي، أنت محتاج تعمل حاجة عشان تبقى كويس فعلاً، مش عشان يبقى شكلك قدام الناس بس اللي كويس"

ثم يستعيد هدوءه فجأة

" وأنا عارف، أنت ممكن تكون حاولت تكون كويس، بس أكيد فشلت كتير، لأنه ببساطة صعب عليك "

أنظر له مُستسلمًا نسبيًا لوجة نظره، وأكمل كلامي

" بس أكيد أنا أحسن من إني أكون في الجانب الخاطيء "

ينظر إليَّ بتصميم

" أنت أكيد في الجانب الخاطيء"

" ببساطة يا خالد، أنا عايز أساعدك، وعندي ليك عرض كويس جدًا"

أنظر له بلا مبالاة

" أحب أسمع أكيد"

ينظر إليَّ ويتكلم بهدوء

"ببساطة أنت خامل، غير قابل للتعديل أو التغيير، ودي المشكلة، وحلها بسيط"

أنظر له ممثلاً الاهتمام

" اتفضل"

يرد بابتسامة

" عشان تبقى شيخ، لازم تروح لأحمد الشيخ"

حواجبي تتكسر على جبيني

" خالد عشان تتغير لازم تاخذ إتجاه"

أقاطعه وأنا أمشي مبتعدًا

" عشان مش عارف أبقي كويس أروح أبوظ، دة هبل"

يلاحقني متابعًا

" هو دة حلك الوحيد، تتغير للأسوأ عشان تعرف تتغير أساسًا، بعد كدة حتتغير للي أنت عايزه بسهولة "

أقف ناظرًا إليه بحزم

" عماد كفاية قوى كدة النهاردة، أنت شكلك مبسوط وبتعيش عليَّا "

والتفت مستكملاً طريقي

يعلي صوته مستوقفًا إياي

" طب بص، أقف ثواني بس"

أقف وأنظر له:

" أنت حياتك مملة جدًا، بص فيها حتلاقيها تكرار يومي لأحداث عادية ومملة، ركز وشوف يومك بطريقة عقلانية وقولي إيه اللي حلو يا عم الكويس يا أحسن شاب في الشارع "

يمسك كتفي وينظر إليّ

" آخر حاجة حقولها يا خالد"

يثبت عينيه على عيني

" أنا مش حكلمك لمدة شهر، عايزك تبص فيه لحياتك، وتتأمل يومك، وتحاول تكون جوة الجامع، ولو عرفت وواظبت، أنا حكون سعيد ليك جدًا "

يستكمل وهو يحرك رأسه ناحية اليمين

" ما كانش، تعالى جرّب معايا شهر بالضبط ، حوريك العالم من ناحية أحمد الشيخ ، بس برة المنطقة ومن غير ما حد يعرف خالص أي حاجة حنعملها"

" فكر كويس يا خالد وشوف حتعمل إيه، أنا ما ليش مصلحة في فسادك، ومش حكسب حاجة بإضافة فاشل جديد، أنا عايز مصلحتك"

أنظر إليه نظرة فارغة من أى مشاعر بالسلب أو الإيجاب

" سلام يا خالد، أشوفك كمان شهر بالضبط"

ألوِّح بيدي على طريقة " بأي حال من الأحوال"

وأتمشى إلى البيت بهدوء وخطوات بطيئة

أنظر إلى الأرض قليلاً ثم إلى السماء قليلاً، أفكر في كلامه

أجد المنزل أمامي أطلع السلالم التي أصبحت تبدو كسلالم معبد في التبت

أشعر كأنني أسير في مائة عام

ليس كلامه ما أثر فيَّ بقدر مدى اهتمامه العجيب بحالي،

أعرف أن كلامه قد يكون به قدرٌ من المنطق ولكن هذا لا يستدعي أن يكون ما يقوله صحيحًا بالمرة

إنه ناقوس خطر إلى مدى حاجتي لأن أغير صورتي أمام الناس

ما لاحظه عماد قريبًا سيلاحظه الآخرون

سأتغير

وسأنجح

ولكن يظل سؤالي

لماذا أنا يا عماد ؟

لماذا أنا ؟

ما الذي جاء بك من وراء الشمس حتى تقف في منتصف طريقي الصغير إلى العمل؟

أصل أخيرًا لباب المنزل

أدخل

أغير ملابسي

تلفزيون، كمبيوتر

تفاحة من الثلاجة

السرير

نظرة سرمدية إلى السقف

ثم لا شيء

الفصل الثالث

الإسلام هو الحل

صوت المنبه

الساعة السادسة والنصف .. كما هو معتاد كل يوم

ولكنني قررت ألا أجعله ككل يوم، إنه بداية... وبداية جديدة، إن ما يحدث لي هو علامات، فقد ابتعدت عن طريق الله طويلاً، وعماد أيضًاعلامة إنني ابتعدت بعيدًا استيقظت وأنا لا أتذكر من الأمس سوى العبرة، سوى إنني يجب أن أعود استيقظت ودخلت الحمام لأتوضأ، ثم بحثت عن سجادة الصلاة وذهبت إلى غرفتي لأصلي، أسمع صوت خطوات أمي تمشى خلفي وتتمتم

" ربنا يهديك كدة يا ابني على طول"

أذهب للإفطار، فأجد أمي تضعه لي والابتسامة تعلو وجهها، فأشعر بالرضا من داخلي، إن عمل الصواب في النفس الغافلة له أثر السكر في الحلق المرير، انتهي من الإفطار لأشق طريقي إلى العمل ككل يوم، أشعر بشيء غريب، إحساس بالإيجابية، أعود إلى العمل وأنهمك فيه، يؤذن الظهر ثم العصر فأصليهما في موعدهما، مع زملائي من العمل، من السهل أن تقوم بشيء يتم في جماعة، فكلما كان قريب منك جامع وأنت ترتبط برواده، فمن السهل المواظبة على الصلاة به، فما بالك بالعمل!

أنتهي من العمل لأجد طريقي إلى المنزل، وأنا متجه أنظر يميني ويساري، لعلي أجد عماد أو أحد أفراد شلة الأنس، لكنى لا أجد أيًا منهم ، ولا حتى القهوة بها أحد، إنها هجرة جماعية لوباء الإيبولا من وسط القاهرة التعليمي

في المنزل، أصلي المغرب، تليفزيون، كمبيوتر ثم أنام

ليس صوت المنبه

ولا ضوضاء الشارع

استيقظ بهدوء، إنها التاسعة، بالطبع يوم الجمعة،

يوم الإجازة، مر 4 أيام و أنا مواظب على الصلاة و متحديًا كل عقبات و سلبيات حياتي، دعك إنني لا أعرف لماذا أفوِّت صلاة العشاء، و الظهر يدخل في العصر أحيانًا ولكنني ما زلت أحاول الثبات و أقوم بعمل غير سيء على الإطلاق مقارنةً بما قبل ذلك، لكن أهم ما في الموضوع الثبات، الإرادة، بالطبع لن أتجه إلى البحث عن عمرو خالد أو شيخ من شيوخ التلفاز الذى لا تفهم من الصفيق الذى جعله يظهر في التلفاز ليبحث عن الفتاوى المجهولة، و لكنني سأقوم بعمل شيء جديد لم يفعله أى إنسان مصري مسلم من مواليد 1915 فيما فوق ذلك، عادة انتهت منذ سنوات سأضع نفسي في السبق كأول مواطن يضع حجر الأساس في ذلك التقليد العريق الذى تناسته الأجيال السابقة ..

سأحضر خطبة الجمعة منذ بدايتها

منذ ولدت وأنا أجد أبى يقول لي، " يلا يا ابني الصلاة حتفوتنا"

لأذهب معه إلى الجامع والشيخ كان قد بدأ بالدعاء الذي قُبيل الصلاة

فكانت تلك الصلاة على ما أعرف، هو أن تلحق الصلاة قُبيل بدايتها أما ما هي الخطبة وعن أي شيء تحكي، لم يكن مهمًا أبدا في رأي معظم الناس، فالشيوخ مكررون، كلما اقتربت مناسبة دينية يبدأ لإعداد خطبتين ليحكي عن أهمية تلك المناسبة، ويحفظ الخطبة للعام القادم لنفس الاستخدام، فيما عدا خطب المناسبات، كنت دائمًا أتخيل الشيوخ يفتحون كتاب مثل " زاد الميعاد لهدى خير العباد" ويبدأ في فرز صفحاته بعشوائية والصفحة التي سوف يقف عندها هي موضوع الخطبة القادمة..

ولكن ماذا لو استمعت تلك الخطبة من بدايتها كل مرة كل عام، على الأقل سوف تكون عالمًا بعض الشيء بأمور الدين، هذا إذا وضعنا الملل جانبًا لدى بعض الشيوخ وعدم التجديد، فبالتأكيد للخطبة منفعة ما، وقد تحمل خطبة اليوم لي علامة جديدة تساعدني على الثبات أكثر وأكثر

أدخل الحمام لأتوضأ، أصلي الصبح، أتناول إفطاري بهدوء شديد وأنا أشاهد فيلم لإسماعيل ياسين، أدخل لأستحم، واستعد نفسيًا لصلاة الجمعة ..

أنظر في الساعة، خمس دقائق على آذان الظهر، أرتدى ملابسي وأتأهب للنزول، صوت أمي

" رايح فين بدري كدة يا ابني"

" نازل أصلي يا حاجة"

ترد والتعجب يرفع حواجبها إلى جزء في الجبهة لم تلمسه من قبل

" ما لسة شوية على الآذان "

أرد باسمًا

" ما أنا صاحي بدري قولت أحضر الخطبة من أولها"

ألتفت وأتجه إلى الباب

" سلام عليكو يا حاجة"

ترد السلام مع وابل من الدعاء السخي الذى لن يقوم به شحاذ أعطاه شخص ما 200 جنيه ورقة واحدة،

أنزل أتمشى خمس دقائق لأجد نفسي أمام الجامع الخاوي، وحينما أقوم بخلع حذائي، يرفع الآذان داخل الجامع، فأبدأ بالدعاء، ثم أمشي لآخذ مكانًا في أول الصفوف وأجلس مستحضرًا هيبة الله والمكان، لأجد الشيخ قد اعتلى المنبر، يبدو في أوائل الثلاثينات يميل إلى السمار وله لحية كثيفة تعطيه عشرة أعوام فوق عمره ، ولكن وجهه ليس به كثير من التجاعيد مما يظهر أنه ليس كبيرًا كما يبدو عليه،

يقف على المنبر وينظر إلى الناس بوجه أصم، خالي من التعبير لكي يزيد الهيبة التي يرتديها، وتبدأ الخطبة البداية الطبيعية بالصلاة والسلام على سيد الخلق ثم يبدأ موضوع الخطبة..

" أحبائي إخوتى، خطبة اليوم عن حكم أئمة الإسلام على تارك الصلاة"

ويبدأ في الشرح والاستفاضة

لا أعلم من أين يأتي شيوخ الجوامع ولكن أغلب الظن من الأزهر، والمشكلة إنهم جميعًا " اسطامبة " واحدة

فالشيخ يبدأ بهدوء ويجب أن يؤكد على كلمة " أحبائي وإخوتى" وينظر إلى الجميع بوجه خالي من التعبير، حتى يأتي مثال، وهنا يختلف الأئمة

فهناك أغلب الوقت فئتان من الأئمة

الأولى عندما يتحدث عن الجنة أو آية تصف المؤمنين يبسط وجهه ويصبح بشوشًا " يفرد وشه" وعندما يأتي ذكر الكفار أو النار أو أي عمل سيء، ينظر إليك نظرة نيرون و هو يشاهد حريق روما، ويبدأ يحرك عينيه على المصلين واحدًا تلو الآخر حتى تلتقي عيناه مع عين شاب غلبان كل جريمته أن شعره كنيش مثل كل أقرانه من أبناء جيله، و جاء ليصلي كباقي المسلمين، و لكن عندما تلتقي عيناه مع الشيخ وهو يعظم نهاية الكفار فيقول " كلهم في النار" و تنتظر ضحكة شريرة متقطعة، و تلك الفئة تبحث عن الأداء الذى قد يدخل الرهبة في قلوب بعض الناس، في عصر أصبح الجميع يستخدم عقله،

النوع الثاني وهو الأصعب، هو الذي جاء ليحكي حكاية، ويظل يتحدث بدون انقطاع ويدخل من موضوع لمثال، ومن مثال لقصة، ومن قصة لفتوى، وهكذا لتجد نفسك في نهاية الخطبة لم تتذكر أو تصل لقلب الموضوع ..

وشيخ الجامع من النوع الأول، الذي يحاول أن يتحول إلى شكل الثعبان الأقرع ليجعلك تخاف من مواجهته، المهم مدة الخطبة عشرون دقيقة، لخصت في بعض الانفعالات،

وخمس كُحات من فرط الصراخ، وإن من تفوته صلاة أفضل له إنه ما يصليش لأن مفيش فايدة، وفي النهاية مازال لدينا وقت للتوبة والعودة، ودعاء على أعداء الإسلام وأقم الصلاة ...

بالطبع كان بعض ما ذُكرفي الخطبة مفيدًا بغض النظر عن أسلوب الخطيب، لكن المعضلة بالنسبة لي دائمًا هي موضوع الصلاة، فالصلاة عادة لذلك أمر آبائنا بتعليمنا إياها منذ الصغر والمواظبة عليها، ربما ونحن أطفال لأننا لم نكن نعلم بقدر ما علينا من مسئولية، فكنا نحتاج أن نتعلمها، ولكننا كبرنا، ونعلم كل شيء الثواب والعقاب، والجنة والنار، هل فقدنا رهبة الآخرة من قلوبنا لكي نعلم المصير ونعيش متجاهلين النهاية وما بعد النهاية، هل فقدنا عقولنا لنردد في كل مناسبة دينية و صلاة آيات عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ونحن نجهل أن ما نقوله وقد لا نعنيه هو الطريق للهروب من نهاية مخيفة تنتظر الجميع، هل فقدنا إيماننا و حصرناه أن الله سبحانه وتعالى لا يأتي إلا بالخير، وأن قضاء الله لا رادَّ له في السوء، إيماننا بالله في أحداثنا اليومية، أما المجهول المخيف الذي نرى الناس تزوره كل يوم تحت التراب، نؤجل مواجهته حتى نكون أمامه وجه لوجه، و ندعو الله لفرصة أخرى، وإذا كان المؤمن هو من يرى الله في كل أفعاله، إذن هو شخص لا يفعل أى شيء خاطئ، هذا يعنى إننا في عصر بلا مؤمنين، ماذا فعلت الخطبة في نفسي ؟! أخرج من الجامع أنفخ زفيرًا قويًا، سأظل على ما أنا عليه حتى الجمعة القادمة، سأذهب إلى جامع آخر، و أحضر الخطبة منذ بدايتها أيضًا، لن أجعل شيء يصد إرادتي ...

تمر الأيام ..

أحاول أن أقرب نفسي من كل شيء جيد، أحيط نفسي بكل ما هو إيجابي، أصلي، أخرجت صدقة وهي عادة كنت قد نسيتها منذ فترة بعيدة، الجمعة القادمة في الطريق، وأختى وزوجها قادمين، كنت قد سمعت أنه مسافر قريبًا، هذا يعنى عودة أختى للبيت في فترة سفره، أختى سامية حنونة جدًا رغم إنني دائمًا في اختلاف معها، لعل لحبي

للمنطق ورفضي للتفكير العاطفي الخالص الخاص بها، فالنساء مشاعر من لحم ودم، يجدون في كل شيء مبرر درامي، لا يؤمنون بمبدأ الأبيض والأسود...

ثم تأتي الجمعة

اختار جامعًا جديدًا

وشيخًا جديدًا

لكن لا شيء جديد

الكثير من الكلام الجميل كالألوان، به اللون الهادئ واللون الفاقع، كل لون على حدى جميل ولكن إذا ادخلتها جميعا في لوحة واحدة تنتهي بلوحة من " البظراميط "، لا أخفى خيبة الأمل، وبطبيعة الحال لن أبحث على الإنترنت على الشيوخ المعلبة، هؤلاء الذي يجرى أسفل ذقونهم إعلانات المقويات الجنسية ولا يبحثون إلا عن الجدل حتى لا يقدموا بضاعة مستهلكة ..

أعود إلى المنزل، بعد ساعة أسمع جرس الباب، سامية وزوجها "المعلم"

وكعادة أى بيت مصري وأنا أهم أن أرحب بهما، تقطع أمي عليا الطريق ويداها مبللتان علامة أنها في المطبخ تطبخ أهم وجبة طبختها منذ 1990" وتسلم على وحيد بذراعها طبعًا لأن يدها مبللة، أعلم أن وحيد لا يأتي كثيرًا لكن ما تفعله أمي لتثبت أنها تطبخ " من أول امبارح" هو شيء تمثيلي لا يحتمل ..

يجلس وحيد وهو يحمل " شيء وشويات " ليضعهم على المائدة " ولازم طبعا دة كله فضلة خيرك يا حاجة" وهي ترد طبعًا بأن أفضل ما حدث لها في الدنيا بعد زواجها من أبى هو زواجه من ابنتها، وفي النهاية تعود أمي للمطبخ

نجلس ثلاثتنا في الشرفة التي تطل على الشارع القديم ..

" إيه يا عم وحيد، خلاص مهاجر"

" مهاجر إيه يا عم، دي كلها عشرين يوم أو شهر بالكتير"

أرد ناظرًا لأختي

" آه، نقول ألف مبروك العروسة الجديدة يعني "

طبعا مصر كلها تتوقع ذلك التعليق، فالغتاتة ما يوحد ذلك الشعب العريق

يرد ضاحكًا قال يعني اتفاجيء

" بلاش الكلام دا الله لا يسيئك، حتسخن الموضوع في دماغ المدام"

أنظر له واضحك

" يا سيدي دي حتفرح لك"

تنظر لي أختى بقرف

" ما تخف يا خفيف "

أضحك ضحكة بلهاء مستفزة

" طيب قومي ساعدى أمك يلا "

تغادر لتتركني معه

" يا ابني بلاش الكلام دة، النسوان مخهم صغير "

" يا سيدي، أختى عاقلة ما تخافش، بس إيه السفرية الطويلة دي"

" رايحين الصين نلف لفة كبيرة، نجيب بضاعة جديدة لكل الفروع عشان خاطر السنة الجاية، والحج نازل بتقله وخصوصا حاجات رمضان"

" طيب ماتنساناش معاك في شوية ياميش"

" هزر أنت مش فالح غير في الهزار"

أتحدث معه قليلاً حتى ينتهوا من تحضير الغداء، لنجلس ونأكل، لن أحكى طبعًا عن " خد الحتة دي بس يا وحيد، دي ضاني والمصحف" وأيضًا " أكلك زي العسل والله يا حاجة " والإسفاف والمهاترات وأشياء أخرى

ينتهي الغداء وتقوم سامية بتجهيز الشاي بينما نجلس في الصالة أمام التليفزيون

" إيه يا عم خالد، مافكرتش في اللي قولتلك عليه"

" اللي هو إيه "

" موضوع الجواز"

" جواز مين ؟ "

" جوازك أنت يا عم بلاش هزار"

" أنا أتجوز مين بالضبط ؟ "

" أنا عندي عروسة هايلة، بس أنت ماتكسفنيش قدام الناس"

" دة أنا أكسفك وأكسف اللي يتشدد لك "

" يا ابني ماتبقاش قفل دي جوازة مستريحة جدًا "

" لا يا عم، أنا لسه بكوِّن نفسي "

" يا خالد بلاش هزار، مش حتتكلف حاجة والنعمة "

" والنبي يا وحيد فكك مني، أنا مأجل القصة دي كلها"

تدخل سامية وهي تحمل صينية الشاي وتقاطعنا

" إيه يا خالد قصة إيه، وحيد عايزك تسافر معاه ولا إيه"

وحيد يرد

" يا سيدتي ليه عندي جوازه سقع، وعايز أرشقوا فيها"

ترد وهي تضع الشاي أمامه

" سيبه ودماغه يا وحيد، هو أدري بمصلحته"

وحيد متناولاً الشاي

" أنا عايز مصلحته، والموضوع كله فوايد"

تنظر إليَّ نظرة ذات معنى

" اللي يأكل على ضرسه ينفع نفسه"

أنظر إليها ساكنًا مبتسمًا ابتسامة تعجب بمدى الحكمة التى وصلت لها

فترد إلى النظرة بابتسامة لم أفهمها، ثم تلتفت إلى أمي

" شفتي يا ماما قابلت مين من يومين في الشارع ؟ "

أمي وقد أتت بعد الانتهاء من أعمال المطبخ

" مين يا سامية ؟ "

تنظر إلى بطرف عينها

" نادية بنت الحاج توفيق "

أتجمد في الكرسي للحظة ناظرًا إلى سامية، محاولاً ألا أبدى أى انفعال، ومن واقع إنني تجمدت مكاني فأنا ناجح حتى الآن

ترد أمي

" نادية"

وأردد أنا داخلي تلك الكلمة ألف مرة

نادية

نادية

الفصل الرابع

نادية

رسالة

.....

رسالة مني إليكِ

فأنت مني وأنا إليكِ

أبحث عن رسائل الحب في الأغاني

فلا تسعفني

أبحث عنها في الأفلام

فلا تنجدني

فأبحث عنكِ

فلا أجد سوى صورتكِ

ولا أزال لا أجد كلام للحديث عنكِ

كل ما أجده ... قلب وجسد وعينان

قلب

تزداد دقاته

كلما سرحتُ بكِ

وجسد

تأكله القشعريرة كلما سمع صوت خطواتكِ

وعينان

تتسعان إن أشرق نور وجهكِ

أنتظركِ

حبيبتي انتظركِ

.....

لا زلتُ متجمدًا مكاني

نادية

قصة حبي الوحيدة

الفاشلة بالطبع

أحببتها

وأى حب هو !

أعوام عديدة من طرفٍ واحد

وستة أشهر من طرفين

وتنتهي القصة

كانت جميلة، لا ، لم تكن

فأنا لا أجيد حتى وصفها

بيضاء كالرخام، شعرها أسود كالليل، عينها عسلية

كنتُ أنظر إليها حتى يخال لي إنني أرى نخاع عظامها

أحفظ شكل خطوط وجهها

وأحفظ عن ظهر قلب استدارة وجنتيها

وحدة ذقنها

وطول أصابعها

وتلك الشفتان، كنت أسميهما بوابة الجنة

صوتها ليس بعالٍ، لكنه واضح

كصوتِ كمانٍ في قاعة مسرح خالية

إلا من مستمعٍ واحد

كنتُ وكانت

وصرتُ وصارت

لم أكن أدري أن كلمة واحدة تأخذني من عالمي لتلقيني إلى هذا الانفجار الصامت

ماذا إذن إذا رأيتها

لا أعلم،

اسحب نفسي من ذلك العالم البعيد

لأعود إلى الأرض مرة أخرى

أمي تقاطعها

" يااه، ودي إيه اللي رجعها، هي مش أتجوزت"

أختى ترد

" آه وراحت سكنت مع جوزها في التجمع "

" مش جوزها دة كان جواهرجي "

" أيوة يا ماما، هو أبوه اللي كان جواهرجي، وكان صاحب الحاج توفيق"

وتنظر إلى بهدوء

" بس جوزها مات من فترة، وبترجع كل فترة تعد عند أمها شوية "

لا أعرف ماذا أقول

لست سعيد، ولكنى أيضًا لست حزين

فكل الاختيارات تؤكد شيء واحد

أن لدي فرصة أن أراها مرة أخرى

لتعود إلى جسدي تلك الرعشة

ولقلبي تلك الانقباضة

يا الله

أقاطعهم

" إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ومات إزاي"

" والله مقالتش"

" وهي خلفت منه كام عيل"

" ماخلفتش منه أساسا"

وحيد يقاطع

" ودي صاحبتك يا سامية "

" آه طبعًا، وإحنا صغيرين، لحد ما إتجوزت، بس هي بت جدعة قوي"

أنظر إلى السقف قليلاً .. أفكر

هناك لفظ يعبر عن الحالة التي أنا بها الآن، " شقلبت حالي"

ماذا أفعل، لا أعرف

ساعتين من التلفاز والشرب والحلويات، ثم يغادران

اذهب إلى غرفتي،

السقف

المروحة

لا شيء آخر

ونادية

.....

صوت المنبه

الساعة السادسة والنصف

لا صوت يعلو على صوت القلب الجائع والعقل الهائم، لم أنم جيدًا، ولكنى استيقظت بسهولة، لأنني لم أستطع النوم من فرط التفكير

لا أدري

وكأن لم يحدث أي شيء من قبل،

لم أعد أصلي ... الصلاة تصلح لقلب مستقيم، أما أنا، فمرضت بنادية

أذهب للعمل هائمًا على وجهي، أنزل بعيدًا عن العمل وأمشي إليه، وبعيدًا عن المنزل أيضًا

أرى وجهها في كل وجه، أمنية تتقد داخلي أن ألقاها

تقتلني تلك الأمنية حتى إنني أتخيلها في انعكاس الماء في الكوب،

هل هو حب إلى هذا الحد لها، أم اشتياق لرفيق لتلك الوحدة التي تجتاح الروح

هل أحتاجها إلى هذا الحد، أم هو فراغ تستطيع أن تشغله أى امرأة

والأهم من ذلك

هل مازالت تتذكرني ؟

عندما كنت صغيرًا أحببتها في صمت، كانت سعادتي أن أكون في نفس المائة متر التي تحيط بها

أن أراها حتى لو من بعيد، وأظل مثبتًا عيني عليها

ثم حدث ذات يوم...

زفاف ابنة عمتها

كنتُ مدعوًا إليه، وبالطبع كانت هي

الجميع يتحدث مع الجميع، لن يلتفت أحد إليّ، ولكنني لم أخف من أحد، إلا هي

وجاءت الفرصة للوقوف معها قبل الزفة بدقائق

كانت تعرفني بحكم اقتراب السكن، وكنت أعرفها بحكم اقتراب القلب

" إزيك يا خالد"

" أهلاً ....."

" أنت عارفني ولا ..."

أقاطعها

" طبعًا ... نادية"

" أنا قولت يمكن متعرفش الاسم مثلاً "

خفيفة كالحرير على الجسد، عذبة كماء النيل قبل أن يظهر المصريون على وجه الأرض

كانت تبتسم وهي تداعبني، هي تعلم إنني أعرفها عن ظهر قلب،

" لا إزاي، أكيد أعرفك "

" ما أنا عارفة أكيد، إزى سامية"

" كويسة الحمد لله "

لا أعرف لماذا أشعر بتلك " اللبخة"، أقرر أن أتحدث

" عقبالك يا نادية"

تضحك فترتعش أصابع قدمي التي تحاول أن تتشبث بالأرض حتى أحافظ على اتزاني أمامها

" لسة كتير، الجواز دي قصة كبيرة وأنا لسة، مش وقته"

" إن شاء الله خير"

" غريبة يا خالد"

أتعجب طبعًا، ما هي قالت غريبة

" أنا بشوفك كتير، ومع ذلك عمرك ما اتكلمت معايا"

" لا عادى، يمكن محصلش موضوع مشترك "

" مفيش حاجة مشتركة بيني وبين ولاد كتير في الحتة ومع ذلك بيجو يتكلموا عادي"

" لا عادي والله"

" مش فارقة معاك يعني"

تقولها وهي تبتسم، بينما أنا أشعر بالغرغرينا تضرب أطرافي

سنوات وأنا أنظر إليها وأحبها بالواي فاي، وعندما بدأت الكلام لأول مرة، أدمر كل ما في خيالي قد بنيته

" لا والله، أنا بس يمكن أول مرة أتكلم معاكي، فمش عارف"

واستطردُ قائلاً

" بس أنتِ متعرفيش أنا قد إيه سعيد بأني بتكلم معاكِ دلوقتي"

تنظر إلى بشيء من الخجل وتبتسم

" شكرًا يا خالد، أنت ذوق فعلاً ومؤدب .... زي ما كل الناس بتقول عليك"

يقاطعنا صوت زمارة الزفة فتحييني برأسها وهي تبتسم وتسير مبتعدة، وأظل أنظر إليها حتى تختفي بين جمهور المعازيم .....

تلك ذكريات الحديث الأول في قصة حب

القصة التي انتهت نهاية عادية جدًا

بداية النهاية كانت كلاسيكية للغاية، تلك القصص التي تبدأ بالحديث الشهير

" خالد، أنا متقدملي عريس غني وأهلي وافقوا عليه"

فقط ...

بانتهاء الجملة أعتقد أن كل الأحداث التالية معروفة

كل ما حملته في قلبي رحل

كل الحب

كل ما جمعته من مشاعر في سنين، كل ما تمنيته في حياتي

لا تزال لتلك الغصة في حلقي بقايا حتى وقتنا هذا كلما تذكرت اسمها

ثم محوت كل شيء، وأكملت حياتي، وليس لدي نية أن أتوقف لديها مرة أخرى

تلك الألفة الدامية

ذلك النزيف الداخلي الملصم

كجندي في حرب خاسرة، استقبل طلقة في صدره ويسير واضعًا يديه كاتمًا الجرح، تلك الطلقة التي هي سبب موته، هي ذاتها الآن كل اهتماماته، فهي التي تكتم النزيف داخله، وإن خرجت من جسده سينزف حتى الموت، فيضع يديه عليها بكل من يملك من قوة كأنه يحتضنها، كأنها قلبه، ويسير مترنحًا، حتى يسقط وهي بداخله، هذا هو الحب، طلقة الحيرة التي تصيبنا فتجعلنا غير متزنين فلا نعلم أيهما أفضل الموت بها، أم الموت بسبب خروجها، حينما يملك الحب قلبك، يملأ ظلام النهاية عينيك

لا

سأتوقف عن التفكير بها،

لن أذهب مرة أخرى لذاك الطريق

سأعود إلى طريقي

مرة أخرى إلى الله،

سأعود لكن ليس إلى التفكير بها

.....

صوت المنبه ....

الساعة السادسة والنصف، كالعادة استيقظ بالسيناريو الاعتيادي، ولكن تلك المرة أتوضأ وأصلي الصبح وأبدأ يومي الروتيني، ولكنني أقرر كسر الروتين، فأنزل لأكل أفطارى على عربية فول في الشارع، أنزل لآكل وأنظر إلى الشارع وأتأمل، ماذا لو كنت غيرت شعرة من الماضي، هل كان للمستقبل أن يختلف، هل كان لكل قصصي أن تمتلك سيناريو أفضل، هل ما أنا فيه هو انتقام الحظ لضياع الفرص، وهل سأستمر في تلك الدائرة المغلقة لباقي العمر

أنتهي من إفطاري وأسير إلى العمل، أفكر في التغيير والأفضل، في الفرص والحظ والمستقبل، أفكر وأفكر

أنتهي من العمل متأخرًا؛ فمع كل هذا التفكير لن تنجز أي شيء أمامك

أعود إلى المنزل في الثامنة

أدخل لأجد أمي واضعة كل ألوان الطيف على وجهها وترتدي عباءة دموية اللون مطرزة بألوان براقة يشع منها رائحة هنود أمريكا الحمر

" ودة فرح مين يا حاجة اللي لابسة له كل الترتر دة "

تنظر بفرحة

" فرح بنت الحاج مهدي القرشي"

" ومالك فرحانة قوى كدة، وهي حتتجوزك والا إيه"

تنظر إلى وتتجه إلى مسك وجنتي

" أصل الفرح دا فيه كام بنت كدة أنا منشنة لك عليهم، وأنت عارف نقاوة أمك"

أكيد حاجات زبالة

" ربنا يخليكى يا حاجة، أنت بس شكلك زهقتي مني وعايزة توزعيني"

ترد وهي مازالت محتفظة بوجنتي

" لا يا بابا، أنا عايزة أفرح"

وتستطرد

" وبعدين أنا مستنياك من الصبح عشان تيجي معايا بس عشان أحسسهم إن معايا راجل ملو هدومه، خصوصًا إنك جاي متشيك ولابس البدلة وجاهز "

" ماما دة قميص وبنطلون، أنتِ عملتيهم بدلة، وفرح إيه اللي دلوقتي دة"

تنظر إليَّ بشكل مختلف نهائي

" أنا حسبقك على السلالم "

أرد بسرعة

" يديكى الصحة يا حاجة"

وأتابع بينما تنزل هي على السلالم

"أنا في ضهرك أهو"

أرتدي جاكت البدلة والساعة، وأنزل في عجالة، لأجدها تنتظرني، نسير حتى نصل إلى باب الشعرية ومنها نركب سيارة أجرة إلى مكان الفرح

نصل إلى مكان الفرح، إحدى القاعات بأحد فنادق القوات المسلحة، بالمناسبة الحج مهدي هو ضابط متقاعد، ولكنه ابن لعائلة من التجار، وهو تاجر تلك الأيام ويعرفني منذ كنت صغيرًا، أدخل أنا وأمي التي تحكي عن كيف كان تاريخ أم عائلته وكيف تعرَّف العريس على العروسة وطبيعة الاتفاق الذي كان ما بين العائلتين و " مين شال السفرة، ومين أخد الأجهزة الكهربائية" إلى آخره

نصل إلى القاعة المرادة و ندخلها لنجد الحاج مهدي ينتظر على الباب يرتدي بدلة " لميع" و يستقبل المعازيم بابتسامة خفيفة محفوفة بالوقار ويتخلل نظراته كثير من الحزم المستمد من خبرته العسكرية الطويلة، أعرفه منذ أن كان رجلاً طيبًا، قبل أن ترسم الاجتماعيات الزائفة نقوشها القبيحة على وجهه، لا أقول أنه تغير أو أصبح شريرًا، لكن الاجتماعيات تعطي مسحة من زيف تجرح صفاء الروح، فتجعل الكلام

غير مستساغ، و المشاعر غير صادقة، و تشكك في الأقوال، الثراء يصنع ما لم تصنعه الجماجم التي زين بها ملوك الحرب عروشهم، المال هو المجد الحديث، أدخل وأترك أمي تسبقني لتبارك له أولا

" ألف مبروك يا حاج مهدي"

" الله يبارك فيكي يا حاجة"

" دة أنا فرحتي النهاردة ولا أكنه فرح سامية بنتي"

" دا العشم برضو، ماهي فاطمة تربيتك وزي بنتك برضو"

يلتفت إليَّ

" إزيك يا خالد، عامل إيه"

" الحمد لله يا حج، وألف مبروك لفاطمة"

" الله يبارك فيك يا حبيبي، عقبال ما تفرحنا كدة"

" ربنا يسهل يا حاج، ألف شكر"

نتركه لنتوجه إلى القاعة بينما هو يستقبل مزيد من المعازيم، من المتوقع مقابلة عماد أو أحد الأصدقاء، وهذا آخر ما أتمناه، ولذلك سابقى مع أمي، وذلك يجعلني أعيش في عملية اختيار عروس المستقبل الحزين، وها هي أمي، منذ أن جلسنا عندما نرى أي فتاة تمر، تبدأ في قص تاريخ حياة أمها، وماذا تأكل وكيف تذهب إلى الحمام وكم مرة تدخله، لا أحب تلك الفقرة نهائيًا

" خالد، أنا جايباك تختار، مش تعد جنبي نحب في بعض"

" والله يا ماما مفيش حاجة عجبتني، مفيش واحدة على مقلم أو كاروهات"

" بلاش هزار، أنت كبرت و محتاج تتجوز، يا تختار يا إما اختارلك أنا "

" وحتجوزينى غصب عني، وأقعد أعيط وأقولك أنتِ لو جوزتهاني حموت نفسي وكدة، إيه الكلام دة يا ماما ؟!!! "

"أنت عجباك قعدتك كدة ؟ حتكمل حياتك لوحدك يعني ؟؟؟ "

" أكيد حتجوز في يوم من الأيام، بس باختياري وأكون مستعد "

" يبقى عمرك ما حتتجوز، أنت عمرك ما حتكون مستعد "

وتستطرد

" أنا شكلي جاييباك تنكد عليَّا، بدل ما تفرحني ....."

أقاطعها

" ولا أنكد عليكِ ولا تنكدي عليَّا "

"حروح أقف برة شوية لأن الدوشة هنا بجد خنقتني "

أتركها لأسير قليلاً وأقف متأملاً النادي

ليأتي صوت من ورائي

" خالد"

ألتفت

لأجد سامية أختى ووحيد زوجها

" شكلك عريس يا واد"

سامية ضاحكة، ليقاطعها وحيد

" إيه، ما شفتش واحدة من اللي جوة دول وعجبتك ؟ "

أنظر إليه مبتسمًا

"يا عم بلاش شغل أمي دة "

"أُمال أنت فاكر هي جاييباك ليه، ما كان ممكن تيجي معانا"

" أهي يا سيدي قفشت عليَّا جوة"

تنظر إليَّ سامية بنظرة غاضبة

" تروح سايبها وطالع برة ؟ "

" وأنا سايبها في قلب طوكيو، ما هي عارفة الناس كلها جوة "

"ما فيش فايدة فيك "

يقاطعنا وحيد

" خلاص يا جماعة، ندخل إحنا نقعد معاها، ولو أنت عايز تروَّح يا خالد روَّح، وإحنا نوصلها معانا"

سامية تقاطعنا

" إحنا داخلين شوية وأنا حطلع أناديلك تيجي تقعد معاها عشان ما تزعلش، أنت فاهم ما تمشيش"

"خشي يا سامية الله لا يسيئك"

يضحك وحيد

" شوف اللي يريحك واعمله "

يتركاني لينضما إلى المُولد، وسامية تنظر إليَّ نظرة نارية، خمس دقائق وسوف تكون أمامي لتقنعني بالدخول، أختى لا تطيق أن ترى أمي مستاءة من أى شيء، وأمي امرأة، فطبيعي جدًا أن تختنق وتتعصب من أقل شيء،

أقف متطلعا إلى فرح آخر يدخل إلى القاعة، مغفل آخر في القفص، يمكنك أن تقيس نجاح أى زواج بمقدار المشاكل التي مر بها دون أن ينهار، الزواج تنازل، لا شيء أخر...

أقف سارحًا

وأنظر خلفي بإتجاه القاعة

أنظر لأجد شبحًا أسودًا يأتي من داخل أنوار القاعة

لا أفهم النقاب أبدًا، وماذا أتى بشخصٍ بكل هذا الإيمان الذي يجعله لا يكشف ظفر منه إلى تلك الحفلة الماجنة

الشبح يتحرك تجاهي، ماذا أنا بفاعل

" إزيك يا خالد"

الصوت يأتي من وراء الفلتر القماشي

" الحمد لله"

" أنت مش عارفني"

" لا صارحة أنا بحاول أفتكر مين كان عندنا منقب في الشارع ومش لاقي حد، تقريبًا الشارع كله زناديق"

يأتي صوت ضحكة من خلف الأسوار أعرفها

أركز في عينيها

وأحدق

" أنا نادية يا خالد مش فاكرني ؟ "

الفصل الخامس

اللقاء الثاني

.....

رسالة

حبيبي..... روح الفؤاد
كم أعشق تلك الخطابات ما بيننا
فتلك الورقة التي ترسلها إليَّ خلسة
تبقى معي كل اليوم دون أن أفتحها
حتى أصل إلى البيت ..
أظل طوال اليوم أحلم بما فيها وأتوقع معانيها
وأفتحها كمن يفتح صندوق الكنز
وأستمتع بالنظر إلى رسومات خط يدك
وأقبل الورقة التي كانت في راحة يدك
وأشمها ثم أضمها إلى صدري
كطفلي الرضيع
كم أعشق تلك الرومانسية الكلاسيكية
التي تجعل القلب يزيد دقاته لكي يعبر الزمن
ويحول الشابة الصغيرة التي أسكن داخلها
إلى امرأة كاملة النضوج
تحلم أن تكون سيدة منزلك الأنيق
أنتظر الخطاب التالي، وما بعد التالي
حبيبتك

.....

أحدق إلى تلك الخيمة السوداء التي تحتوي أجمل ما رأت عيناي

" مش ممكن، إزيك"

أتمتم كأول مرة رأيتها، أكره هذا الحب الذي يجعلني كطفل صغير أبله، يتحدث إلى مدرسة فصله ويشرح مبررات عدم إتمامه الواجب

" أنا الحمد لله، أنت عامل إيه"

أعشق طريقتها في الكلام، فهي واثقة من نفسها وصوتها واضح، ولكن درجة صوتها ليست باردة أو فاترة، لكنها نغمة مهتمة وحنونة

" أنا الحمد لله"

واستطرد كالأهبل

" إيه اللي عمل فيكي كدة "

" قصدك إيه اللي خلاكى تعملي كدة "

" قصدي إيه اللي دخلك جوة عمومًا، ما أنا سايبك كويسة"

ترد بلهجة ضاحكة

" عادي يا سيدي"

ثم تتغير درجة الصوت 180 درجة

"أنت عارف ظروفي "

" آه، معلش أنا لسة عارف من كام يوم بس "

واستطرد بأدب

" البقاء لله "

" سبحان من له الدوام"

" وأنتِ فين دلوقتي ؟ "

تتنهد تنهيدة، تعيد إلى عقلي إشارات الماضي، ليعطي قلبي الأمر بالخضوع

" موجودة، شوية عند ماما وشوية في بيتي في التجمع "

" ومين بيقعد معاكي هناك ؟ "

" ماما بتيجى، حد من أخواتي، كدة "

وتنظر إليّ

" وأنت عامل إيه ؟ "

" أنا زي مأنا، مفيش حاجة اتغيرت كتير "

تنطق وأحس منها بابتسامة بها شيء من تهكم

" ما أنا كنت متأكدة "

تسرح للحظات

" كويس إني شفتك يا خالد، عشان احتمال أسافر"

تتسع حدقة عيني

" فين يا نادية ؟ "

" السعودية، أروح أقعد مع أخويا أحمد هناك "

يقف كل شيء ممكن أن تحتويه أحشائي في المريء

" ليه بس ؟ "

" عادي، ماما حتسافر وأنا معاها أكيد"

أشعر بطعم الهزيمة يزحف من شفتي

" طب نادية !!! "

" إيه يا خالد ؟ "

" أنا جوايا حاجات كتير وكلام أكتر عايز أقوله لك، وأنا مستني اللحظة دي من زمان قوي ....."

تقاطعني رافعة كف يدها مشيرة إليَّ بالتوقف

أرد في حرقة

" ليه طيب ؟ "

" مش وقته و مش مكانه "

ترد بحزم به نبرة حزن جافة

يسود الصمت ثواني ثم تكمل بنفس النبرة

" أنا لسة جوايا جرح متلمش، متجيش تفتح جروح قديمة"

تنظر إليّ وتستكمل

" أنا متلصمة بالعافية، وبدعي ربنا إنه يكملها على خير، أنا قريب مسافرة، ومش عارفة حرجع تاني إمتى، فبلاش تفتح علينا باب، مش حتعرف تقفله "

أكتم داخلي كل شيء، عندما رأيتها انهارت كل أسوار الصمود ضد حبها، وعندما تكلمت جعلتني عاريًا أمام سهام كلماتها الحارقة، كم أنا هش من الداخل

" طب خلينا على اتصال، خلي بنا أي حلقة وصل "

" بلاش يا خالد، خلينا كدة أحسن "

وتهم بالرحيل

" أنا سعيدة إني شوفتك بخير يا خالد، وربنا يكرمك ويرزقك ببنت الحلال الصالحة اللي تسعدك في حياتك "

و تلف لتقول بصوت من يحاول أن يكون باردًا و لكن تخونه حنجرته

" السلام عليكم "

أقف محدقًا لدقيقة

تنزل من عيني دمعة صغيرة تغلي

كأنني حوض من زجاج ارتطمت به طلقة مدفع

أشلائي داخلي في كل مكان ..

بينما على السطح هاديء، السطح لا شيء،

جلستُ على الرصيف

لم أصرخ، لم أبكِ ، لم أنظر إليها بينما هي تذوب وسط الزحام

لقد انهار كل ما بداخلي في دقائق، حلم عمري وحبه الوحيد وقف أمامي مُخرجًا لي لسانه الدامي ساخرًا ثم ... اختفى

استعجلتُ الحديث معها.. نعم ، ولكن !

كيف كنت سأضمن أن أراها مرة أخرى ؟ خاصةً وهي تقول أنها سوف تسافر

أشعر بهيكلي العظمي يتحول إلى كومة من التراب، و دمي يسيل فوقه فلا يبقى داخلي سوى حفنة من طين وبقايا عظام وأشلاء ملقاة في كل مكان

ماذا أفعل ؟ وأين أذهب؟ كيف سأواجه الغد ؟

بأي قلب ؟

بلا أي قلب ...

*****

" أنا كنت متخيل إنك عمرك ما كنت حتوصل للصلاة، شوف دلوقتي ماشا الله، بتحب واحدة منتقبة .. لا واضح إنك كسبت الرهان بالتلاتة"

صوت ولاعة، أنظر لأجد عماد مرتديًا بدلة رمادية ويشعل سيجارته ويستكمل

" ودي قابلتها في محاضرة لعمرو خالد ولا معتز مسعود "

أنظر إليه لوهلة، ثم أعود إلى الشرود في اللا شيء

" لاااا ... دي الحالة صعبة خالص"

لا أعيره أي انتباه، فما بداخلي يكفيني ويزيد، حبستُ دموعي في عيني منعًا لشماتة قد ألمحها تلمع في عينيه ..

" أنت عارف لو كنت سمعت كلامي زمان وجيت معايا في الشلة، كنت زمانك لابس الجلابية البنتكور اللي بيلبسوها اليومين دول ودقنك واصلة لركبك ومتجوز الأخت

حديقة الإيمان اللي مشيت دي ومعاك بنت تقولك يا أبي احكِ لي أضحوكة وابن يشرب معاك تلبينة وحياتك عنب "

" عماد، مش وقت أي حاجة"

" معلش أنا قولت أفرفشك شوية "

يصمت لوهلة ثم يستطرد

" تعالى معايا يا خالد "

"لا "

" طب اسألني فين طيب حتى !"

"لا "

"حجيب لك جيلاتي "

" لا "

" طب بيرة "

"بس يا عماد، احترم اللحظة "

" طيب قوم وحاحترمها في السكة "

يمسك بيدي ويرفعني لأقف، ويمشي وأتبعه في هدوء مستسلمًا، يمشي حتى سيارته ويركب وأركب معه وينطلق ..

لا يقود بسرعة بل بهدوء يسير بسيارته اليابانية حديثة الطراز، حتى يصل إلى مكانٍ ما على كورنيش النيل لم أنتبه أين هو بالضبط ..

" تحب نقعد هنا، ولا تروح قهوة ولا جعان نروح نآكل، قول "

أرد في هدوء

" هنا كويس "

بداخلي من الاستسلام ما يكفي هتلر ليعتذر للعالم قبل بدء الحرب

ننزل ونجلس على سور الكورنيش الهاديء، شبه خاوي من الناس

تظل عيناي متصلة بالفراغ، ولا أتحدث أو حتى تتحرك شفتاي، ينزل هو ويترجل إلى كشك في الناحية الأخرى من الشارع، ليشتري علبتين سجائر وعلبتين من الكولا ويعود ليجلس جانبي، يفتح الكولا ويناولني إياها في هدوء، آخذها منه بلا وعي، وأرتشف منها قليلاً، بينما هو يأخذ آخر سيجارة في العلبة القديمة، ويرمي العلبة الفارغة في النيل فتقع على الشط .

يشعل السيجارة بينما هو أيضًا مثلي يحملق في الفراغ، أصعب لحظات حياتي أقضيها مع آخر شخص كنت أريد أن أعتبره حتى مجرد زميل دراسة، ولكن بأي حال هو يعتبرني صديقه، أو يريد أن يجعلني فاشلاً أو منحرفًا مثله، لا أعرف ما يدور في عقله تحديدًا، ولكن الأصعب إنني لا أعرف ما يدور داخل نفسه وقلبه، تلك اللحظة لا أريد أية حسابات، كل ما أريده الآن ما قدمه هو لي، قليلاً من الهدوء النفسي فحسب ...

"مين ؟ "

يسأل ويصمت ويظل الصمت خمس دقائق حتى أرد في هدوء

" نادية "

تقع السيجارة من بين أصابعه في هدوء، حتى عندما تفاجأ، كان الهدوء سمته، يلتقط سيجارة أخرى ويشعلها غير مبالي بالتي وقعت من يده،

" مش المفاجأة هي مين، المفاجأة أنت، أنا سمعت إنها انتقبت من فترة "

وينظر إليَّ مستطردًا

" خالد المتحفظ في علاقاته بيحب واحدة كانت أكتر بنت اجتماعية في المنطقة، قد ما أنا متفاجئ من القصة، بقدر ما أنا متوقع النهاية "

أشق صمتي في هدوء

" ليه يعني ؟ "

" أصل واحدة زي نادية دي من النوع اللي محتاج إنك تكسر قواعد كتير عشان توصل لها، فصعب عليك يا بيومي أفندي تعمل كدة "

لا ألتفت له وأشرب من الكولا، بينما هو يستكمل...

" أنا مش حسألك في تفاصيل القصة، بس أنا عندي فكرة أنت ممكن تعمل إيه "

" تعتقد إنني أعمل إيه ؟"

" مش حتعمل حاجة، مش حتعمل حاجة خالص يا خالد "

أنظر في استسلام معلنا من داخلي انتصاره عليَّ في الحرب النفسية، أتذكر إنني تركتها لأنني لا يمكنني طلب يدها للفروق المالية، وصعوبة فكرة أن أجعلها تعيش كما هو الحال في منزل أبيها، ولكن ما الذي كان بيدي فعله ؟ لا شيء.. لا شيء بيدي أبدًا ..

" أنت محتاج تعيد حساباتك يا خالد، ومين عارف ؟! يمكن تكون ليك من تاني"

أصمت قليلاً ثم أقول بتنهيدة

" أنت عايز إيه يا عماد ؟ "

" أولاً : عايزك تشيل فكرة إني عايزك تنحرف عشان تبقى عامل زيي، وأبصلك وأضحك ضحكات شريرة متقطعة بصوت شيطاني، وأدمر سمعتك وأجرسك بصورك مع الجوزة في باب الشعرية، أنا فعلاً عايز أساعدك، وأوريك الصح منين "

" وأنت يا عماد عارف الصح منين ؟ "

" مالكش دعوة بيا، مش حرد عليك عشان فلسفتك العتيقة دي، يا تجرب وتشوف اللي أنا عايز أوريهولك، يا هروّحَك على بيتك واعمل اللي أنت عايزه بعد كدة "

يلتفت ناظرًا إليَّ في نظرة ثقة

" براحتك، دة قرارك "

أنظر إليه قليلاً

" ممكن نروَّح بقى ؟ "

ينزل مسرعًا غير مبالي بالرّد

" يلا يا سيدي"

نركب ويقود إلى رمسيس

" أنا مش بايت هنا، حبات في البيت التاني، أبقى كلمني "

أتركه وأنزل لأتمشى إلى البيت، أصعد إلى المنزل، لم تصل أمي حتى الآن

أجلس في السرير محدقًا بالسقف .. السقف .. السقف

ما هذا اليوم الغريب ؟

كما كان أول لقاء، قد يكون آخر لقاء، دائمًا هناك فرح مُقام في خلفية المشهدين ، هناك اثنان يجتمعان برباط مقدس ونحن نلتقي ..

البداية والنهاية ...

كم كنت أتمنى أن تختلف الظروف، أن أكون غنيًا، أو أن تكون هي فقيرة، أن تدور عجلات الزمن كما نريد، أن نعيش معًا في أي مكان في الوجود، كم كنت أتمنى أن تحدث المعجزة ..

ما الذي كان بيدي أن أفعله ؟ أن أدخل حربًا من أجلها أعلم بخسارتها مسبقًا ؟ أن أدخل رهانًا وأقحم فيه أهلي أمام كل أهالي الحي، ليراني الجميع وأنا ألقي بأوراقي المكشوفة الخاسرة، ليضحك الجميع ثم أرحل ململمًا جراح هزيمتي وعار لحق بعائلتي وأسير به أمام الناس عاريًا، ماذا كان يفترض بي أن أفعل ؟

وأي فرصة أمامي الآن؟

أن أجري وراءها وألاحقها وأنا حتى لا أعرف بداية الطريق إليها ؟ أن استغل كونها أرملة لعلها تقبل بي الآن؟

ماذا أفعل؟

سأفعل ما يجب أن أفعله الآن

سأنام...

السقف

دقات الساعة

سأنام .....

******

صوت المنبه ...

ذلك الصوت الذي لا ينتهي

الساعة السادسة والنصف

تلك الساعة التي لا تقف

تدور كل يوم ولا تأتى بجديد

تدق الساعة كل يوم

تاركة خلفها دقات قلب لا تعد

وأنفاس لم تنتهِ بعد

معلنةً انقضاء يوم من عمرك وبداية يوم جديد

يوم آخر يمضي لتقترب من الموت .. ذلك القادم حتمًا

ليس له من رادع

كل يوم يمر وأنا أقترب من النهاية

وكل يوم جديد قد يكون الأخير

أصحو كالعادة، وأجلس على حافة السرير

لا قوة لي اليوم لممارسة العمل أو اللهاث في وسائل المواصلات

لا عقل لكي يشتبك مع معضلة الأرقام اليومية التي لا تنتهي

لا قلب ليضخ الدم لكي ينبض هذا الجسد بالحياة

أمسك الموبايل بطريقة آلية

" آلو، أنا تعبان ومش قادر آجي الشغل النهاردة، سلام "

أستقر مرةً أخرى على السرير

أريد أن أنسي الأمس الذي لا أفكر إلا به

ليتني ما ذهبت إلى هذا الفرح الكريه

أعلم أن الجرح قد يلازمني يومًا ثم يمر

أعلم أيضًا أن الألم قد يكون شديدًا

وأعلم كذلك إنني مررت بأكثر من ذلك بكثير

وكل شيء يذهب

وكل الجراح تلتئم

والحياة تسير ولا شيء يوقفها،

ماذا سيكون أصعب في الحياة ؟

من ان تكون على قيد الحياة يوم زفافها على آخر

لم تكلمني قبل زفافها، لم تقل شيئًا ...

جاء اليوم .. وكم كان ثقيلاً منذ صباحه وحتى موعد الزفاف

والموكب يسير في شوارعنا الضيقة وأمامه السيارات والموتسيكلات

بينما أغلق أنا جميع نوافذ البيت، وأغلق الشيش والزجاج

أغلق باب غرفتي، أغلق النافذة وأضع عليها الأغطية والملاءات

أضع الوسادة فوق أذني وعلى رأسي كي لا أسمع .. ما الذي جعلني أعود للمنزل ذاك اليوم ؟

لم أبكِ يومها

إلا عندما ضرب السكون أرجاء الغرفة، عندما علمت أنها قد ذهبت بلا رجعة

وقتها بكيت، ولم أبكي بعدها على شيء في حياتي

انتهى كل ما يملكه العمر من حسرة، وجفَّ كل ما تملكه العينان من دموع

أن تكون بلا اختيار، وعندما تختار، يضيع الاختيار

أي شيء أصعب من هذا اليوم في الحياة ؟

لعل الأصعب منه أن تأتي الفرصة مرة ثانية، وتضيع ؟

لا أعلم ..

تدور كل الأفكار في ذهني إلى أن يقاطعني صوت أمي

" خالد، يلا يا بابا عشان الشغل"

" مش رايح النهاردة يا ماما، تعبان شوية ومش قادر"

" مع إنني رجعت لقيتك نايم، دا أنت راجع من بدري"

" آه يعني، مش فاكر أنا جيت إمتى "

" أنت جيت لوحدك ولا حد وصلك ؟"

" لا يا ماما جيت مع واحد صاحبي "

" طيب يا حبيبي، أعمل لك فطار ؟ عشان نازلة بعد كدة "

"لا ربنا يخليكى يا حاجة، أنا شوية ونازل "

إلى أين سوف أذهب ؟ لا أعرف، ولكنى سأذهب ..

أنام، ثم أستيقظ في الساعة الحادية عشرة على صوت الهاتف

" آلو"

" صباح الخير "

"" صباح النور، إزيك يا عماد "

" أنا كويس، بس قولت أطمن عليك "

" أنا كويس يا عماد، شكرًا على السؤال"

"ما تقولش كدة، شكلك ما روحتش الشغل "

" آه، صحيت تعبان صراحة و ما فياش حيل أخش الحمام حتى"

" طيب كويس، استريح، ولو عايز حاجة قول لي "

" ممكن أشوفك لو أنت فاضي ؟"

" أنا فاضي وجاي ناحية المنطقة، أقولك حاجة، نص ساعة وأستناك على أول الفجالة، تمام ؟"

" خلاص وأنا هألبس وأنزل"

"سلام "

ماذا أفعل، لا أعرف، لكن يفضل أن أفعل أي شيء، بدلاً من أن يقتلني اللوم والحسرة وأهم من ذلك إنني قد أمتلك الفرصة لمعرفة ماذا يريد عماد مني، لعل " الحدأة تلقي بكتاكيت"

أقف وأخرج ملابسي، وأرتديها في عجالة، وأنزل لأتمشى إلى أول الشارع ثم في إتجاه رمسيس، ثم يمينًا ناحية الفجالة لألمح سيارته، أسير تجاه السيارة، لأجده يدخن سيجارته ، أركب ثم يقود بهدوئه المعهود

" عامل إيه من إمبارح ؟"

" كويس الحمد لله"

" ها .. تحب تروح تفطر ولا نقعد على قهوة ؟"

ثم يلتفت إلي

" ولا أوديك مكان على مزاجي ؟"

" ابعدني عن مزاجك والنبي دلوقتي "

" أنت ليه دايمًا اختياري لازم يكون بالنسبة لك فيه إزازه بيرة وحشيش وحريم كتير توبليس"

" أنا ما جاش في دماغي غير الحشيش، بقيت الحفلة دي كنت حفكر فيها لو كنت قلت لي العرض دة بليل "

" ليه ؟ عشان البيرة ولا الحريم الكتيرالتوبليس"

" هما لو حيقضوا الليلة كلها توبليس، يبقا يلبسوا بقيت هدومهم بكرامتهم أحسن"

يضحك ضحكة من قهقهة واحدة، وينظر لي

" تعالى نروح ستاربكس، عارفه ؟"

" طبعًا بتاع الشباب الفرافير اللي بيشربوا القهوة في كوبيات بلاستيك"

" حاجبلك مج فخار يا خالد "

" لو كدة ماشي "

" الاستظراف الكتير وحش"

نصل إلى المكان المنشود، ندخل لنختار ماذا نشرب، يدفع هو بالطبع، ثم نجلس في الأوبن إير"

" عامل إيه ناو ؟"

" ناو .. الحمد لله"

" فكرت في حاجة غير الندم ؟"

" لا "

" طيب ، ما فكرتش تتغير ؟"

" لا الصراحة، وحيعمل لي إيه التغيير ؟"

" حايعمل كتير"

يستطرد ناظرًا إليّ ..

" يمكن يجيب لك اللي أنت نفسك فيه !"

" ما تلعبش على النقطة دي كتير يا عماد"

آخذ نفس عميق

" لو كان ليَّا ما كانش ضاع من الأول"

" لو كنت أنت أتغيرت كان زمانك ما ضيعتوش"

" دة إزاي إن شاء الله"

" مشكلتك يا خالد إنك عايش على حقايق أنت اللي بتفرضها وبتفترض صحتها وبتعيش على إنها مسلمات لا تتغير، ودي غلطتك دايمًا"

" اسمه الواقع يا عماد "

" أنت اللي سميته كدة وثبته على كدة ، رغم إن مُتغير"

" اثبت يا عماد "

ينظر إليّ واضعًا قدمًا على الأخرى

" أنت قصتك مع نادية أكيد كانت العريس الأغنى فأنت انسحبت، خوفًا من الرفض وضحك الناس عليك إنك بتتقدم لبنت السلطان، صح كدة ؟"

" تقريبًا كدة، دة حد حكى لك ؟"

" لا خالص، أنا استنتجت دة وأنت قاعد جنبي امبارح هايمان، بس أنا كلامي صح ؟"

" نسبيًا آه "

" وأنت عملت إيه لما هي قالت لك على العريس ؟"

" أنت لسه قايل انسحبت، أنا عملت حاجة زي كدة"

" دة عشان أنت خالد فكرت كدة، تخيل أنك خالد النسخة التانية، كنت حتعمل إيه ؟"

" كنت حضرب شريط ترمادول وآخدها ورايا على فسبة، ونهرب إحنا الاتنين على البحيرة "

" أنت النسخة دي رسمت الواقع كعادتك وحبست نفسك فيه فكانت هيا دي الإجابة، أنك مش قادر تعدي الحدود اللي أنت رسمتها "

يستطرد موجهًا إصبعه تجاهي

" النسخة التانية منك، كنت حتتقدم وتحارب عشان تاخذ اللي أنت عايزه، وحتترفض، لكن هي لما تلاقي في حد باع (كرامته بالنسبة لك) علشانها واترفض وبيتقدم تاني، هي كمان من ناحيتها حترفض أي حد غيرك، وكان ممكن الأهل يوافقوا قُدام إصرار اتنين عايزين بعض ؛ فتاخد اللي أنت عايزه "

" تان تتاران ،،،،، تان تان"

" مش كان ممكن يحصل ؟"

" أكيد، في خيال الله يرحمه أسامه أنور عكاشة"

" ما شفتش حاجة زي كدة قبل كدة ؟"

" ممكن أكون شفت، بس الظروف مختلفة لأن...

يقاطعني بصورة حادة

" مبررات مبررات مبررات، مادام حصلت قبل كدة ونجح وأنت اللي ما جربتش، يبقى ملكش حق تقول أي مبررات، لأن في اللي عمل كدة قبل كدة ونجحت معاه، أكيد كان عنده نفس مبرراتك ويمكن أكتر، بس هو قرر ياخد الخطوة ويشوف الآخر هيحصل إيه، أنت ما شفتش الآخر في إيه،،،،،،، صح ؟"

" ممكن يكون صح، بس برضو الاحتمالات ضعيفة "

" دة اللي أنا بحكي فيه، الفرص عبارة عن احتمالات ضعيفة مستنية اللي يحولها لواقع جميل، عشان أنت متمسك بثوابت فارغة، ما استغلتش فرصة حب عمرك الوحيدة، عشان ما تعديش الحدود الوهمية اللي أنت راسمها"

" ممكن !"

" ودة اللي حنغيره في خالد، عشان نعمل خالد جديد "

" حيبقى في بنات كتير توبليس في خالد الجديد دة ؟"

ينظر إليّ بشيء من الاحتقار

" بس يا ظريف"

ويبتسم ويستكمل

" ممكن لو احتاجنا"

" لا شكرًا يا عم أنا،،،،،

يقاطعني رافعًا حاجبًا ومشيرًا إلي بأطراف أصابعه

" شفت أنت جحش إزاي، أنت مش عايز حتى تجرب، اتفضل لو عايز، ارجع روح شغلك الجميل وبيتك الحلو وافتكر نادية شوية وعيط وبعديها بكام سنة اتجوز والسلام وعيش والسلام وموت والسلام وخلاص "

ينظر إليّ باحتقار

" قصة حياة أى جحش بقي حمار شوية ومات "

" أنت عايز إيه يا عم أنت مني ؟ أخلص"

" أنا مش عايزك تعمل غلط عشان تبقى غلط، أنا عايزك تعمل غلط عشان تشوف الصح من ناحية التانية "

" يا سلاااام، أقنعتني، وإيه اللي حيحصل لما أشوفه من الناحية التانية يا فنان "

" مش حتفهم إلا لما تشوف بعينك"

" وأنا معاك يا عماد "

ينظر إليّ مستغربًا ومتفاجئًا، مثلي تمامًا ...

" تمام، اعمل حسابك من الليلة حنبدأ في عهد خالد الجديد "

" يمد يده مصافحًا إياي، فأصافحه بقوة، نجلس قليلاً ثم نتجه إلى السيارة

" بس ياعماد، محدش ياخد خبر"

" عيب عليك "

نركب ونذهب إلى نفس المكان الذي أقلنى منه، أنزل من السيارة فينظر إليَّ مبتسمًا

" الساعة سبعة في نفس المكان، حنروح عندي البيت، سلام "

"سلام"

ينطلق ويختفي

أتمشى عائدًا إلى البيت وأفكر

ما الذي اقحمت نفسي به ؟ وماذا ينتظرني بعد هذا الاتفاق ؟

ماذا سأفعل مع عماد ؟

وهل من الممكن أن أعود إلى نادية في يوم من الأيام

أعتقد أن كل ما أفكر به هي

وهذا ما لاحظه هو

لقد لعب أمامي بحبل مشنقة

وقررت ان تصبح تلك المشنقة ملكي

كله من أجلها

يا ترى!!

ماذا تخبيء لنا أيها القدر

ماذا سأفعل

الليلة هي البداية

****

الفصل السادس

الخيط الرفيع

رسالة

حبيبتي
أكره عندما أقولها لكِ
فتلك الكلمة تساويكِ بباقي النساء
وأين أنتِ وأين باقي البشر ؟
أنت أقرب للملائكة
يقولون لكِ إنني مختلفٌ وغريب
نعم ... كنت كذلك
حتى أعاد دفء روحك تشكيلي
ومن دقات قلبك كانت الاستقامة
حبك كان إعادة تشكيل لذاتي
لا تستمعي إليهم
وضميني إلى صدرك
كطفلك
فأنا لم أعلم من قبل إنني على قيد الحياة
إلا بتاريخ تسارع نبض يديك لأول مرة
وهي في حضن يدي
فضميني

******

صوت المنبه

الساعة السادسة والنصف .... مساءًا

ارتدي ملابس الخروج،

" يا حاجة، كباية شاي معاكي"

أنتظر قليلاً، لا أسمع ردًا، وبعد أن أرتدي الحذاء، أخرج للصالة وأجلس، لأجد أمي قادمةً نحوي تحمل كوب الشاي

" تسلم الأيادي"

تظل صامتة، وتومئ برأسها وتجلس أمام التلفاز

" إيه يا حاجة أنتِ زعلانة ولا إيه ؟"

ترد بهدوء

" ولا زعلانة ولا حاجة "

" عشان موضوع العروسة التعبانة اللي أنتِ كنتِ جايباها ؟ "

ترد بشيء من غضب

" أنا غلطانة إني بدوَّر على مصلحتك، وبعدين أنت حتى ما شوفتهاش "

" يا حاجة أنا الموضوع دة مش في دماغي"

تقاطعني بحدة

" ليه مش في دماغك ؟ أنت مش راجل ؟ واللا في حاجة أنا ما أعرفهاش"

" ما فيش حاجة، مش وقته، وما فيش فلوس تكفي الكلام دة "

" خالد ما تتلككش، موضوع الفلوس دة مش قصة، وأنت لو ناوي مالكش دعوة"

" ماما، خلاص أنا نازل عشان ما أتأخرش، وما نتخانقش"

" غوور، داهية علي اللي يبص لمصلحتك "

أتوجه الى الباب، أفتحه، لأجدها بطرف عيني تنظر إليَّ في حسرة، أغلق الباب في هدوء وأنزل ..

أذهب إلى نفس المكان، لأجده ينتظرني، أشير له كنوع من التحية ثم أركب السيارة، وفي هدوء ينطلق، حتى أقاطعه

" بقولك يا عم الشيخ"

"قول"

" أنا لو ماعجبنيش الموضوع وحسيت أنك بتشتغلني"

"هاااه ؟ "

" حمشي وأرجع تاني لحياتي الطبيعية "

"خالد "

"نعم "

" أنت مش بلغت ؟"

" بلغت فين ؟"

" يعني لو اتجوزت، مش حتجيب عيال ؟"

" أكيد، أومال حجيب سوداني، وبعدين هي دي معلوماتك عن البلوغ يا عماد ؟"

" أصل أي عيل في الدنيا يقدر يرجع في كلامه وياخد قرار بالخروج من التجربة، تخيل شحط زيك كدة يا خالد، المفروض إنه بالغ "

" أنا مش فاهم إيه علاقة البلوغ برضو بالكلام دة ؟"

" لما تبلغ حتعرف يا خالد "

" طب يا عم البالغ إحنا رايحين فين ؟"

" مكان حلو وهادي "

" ليه حتوريني بلوغك ولا إيه ؟"

" لو ما سكتش في فرصة كبيرة أوريهولك في العربية "

" خلاص يا عم، يعني مش حنروح عندك البيت ؟"

يرمقني مبتسمًا ابتسامة خبيثة تدل على سذاجتي، فأنظر إليه واستكمل

" بعيدًا عن موضوع البلوغ دة "

وأنفجر ضاحكًا بينما هو يضحك ضحكة خفيفة

يقود ناحية الكورنيش، لينتهي به الحال بجانب أحد الكافيهات على النيل، يقف وينزل كل منا، ندخل المكان الأنيق، ويتقدمنا أحد الجرسونات حتى نختار طاولة تطل على النيل، نجلس لأنظر وأشرد قليلاً، ثم أتحدث

" جميل المكان دة وشاعري"

ثم أنظر له وأستطرد..

" بس مقلقني، حتطلب لنا ليمون وتقول لي إنك بتحبني من زمان وإننا ندي العلاقة وقتها .....

يقاطعني بحدة

" كفاية يا خالد "

ثم يستطرد

" يا نطع"

لم يشتمني أحد بذلك اللفظ من قبل، وبغض النظر إنه ليس لفظ بذيء، ولكن لا أعرف لماذا شعرت بالضيق، بغض النظر عن مزاحي الكثير وتهكمي الدائم، وإنه أول مرة يشتمني، ولكني شعرت بالضيق ..

طلبت قهوة، وهو كذلك وجلسنا لدقيقة ثم أخرج علبة السجائر من جيبه وأمسك بلفافة منها ووضعها أمامي، أنظر له ثم اتكلم بتعجب ..

" خير ؟"

" ولعها "

" هي دي السيجارة اللي فيها حل لكل مشاكلي ؟"

" ممكن نقول بداية لحل كل مشاكلك "

" ليه ؟ هي محشية إيه ؟"

" مش محشية أي حاجة، سيجارة عادية جدًا "

" وإيه اللي حيحصل لما أشربها يعني ؟"

يرد بشيء من السعادة

" برافو"

أرد باستغراب

" على إيه ؟"

" أنك لقيت الإجابة في سؤالك، قوله كدة تاني بس في صيغة جواب"

" وإيه اللي حيحصل لما أشربها يعني "

" هاه، إيه اللي حيحصل ؟ "

" ما فيش، بس ليه أضر نفسي ؟"

" ومين قال لك إنها ضرر ؟"

" مين ما قالش قصدك ؟ حاجة مضرة وما فيهاش فوايد "

" طب ممكن تكلمني عن فوايد الشاي والقهوة "

" هم ليهم فوايد وليهم أضرار "

يرد مقاطعًا حبل أفكاري

" أنهي أكتر، الضرر ولا الفوايد، مش أهم فايدة فيهم المزاج ؟"

" الشاي فيه مضادت أكسدة "

" وحياة أمك !!!"

أضحك مدافعًا عن موقفي

" أنت بتقارن إيه بإيه ؟"

" مش أي دكتور في التليفزيون بيقول لك كباية قهوة في اليوم ما فيهاش ضرر، بس كتر القهوة بيرفع الضغط وبيعمل كذا حاجة تانية أنا مش فاكرهم كدة"

" وقرحة في المعدة وبيتعب الأعصاب "

" طيب، لو شربت سيجارة في اليوم مثلا، حيحصل لك حاجة؟ مش حيحصل حاجة خالص، أنت بتشم عادم عربيات أكتر من علبة بلمونت في اليوم "

أتمتم مستغربا

" بلمونت !"

بينما هو يستكمل كلامه

" بس ما فيش دكتور حيقول لك سيجارة في اليوم مش حتعمل لك حاجة عشان حيسبوا له الدين وقتها "

ويستطرد رافعًا إصبعه

" أي أكل بتاكله أو حاجة بتشربها فيها شيء من الضرر، المشكلة مش في الحاجات دي، المشكلة في الاستخدام، كتر أي حاجة بيسبب مشاكل، لكن الاستخدام المتزن لكل حاجة هو اللي بيخليها مفيدة ومش مضرة حتى لو غلط "

ينهي كلامه رافعًا حاجبه

" الجشع هو رذيلة البشر المُطلقة، وهو اللي حينهي البشرية "

يسكت وينظر إليّ منتظرًا الإجابة، فأقول بهدوء ..

" إله الحكمة أنت جايبني آخر الدنيا، وقاعدين عالنيل، عشان تشربني سجاير؟"

استطرد بسخرية

" إيه اللي في أم السيجارة السحرية دي"

ينظر إليَّ لوهلة، ثم يتحدث

" الغرض في الأساس مش السيجارة خالص، الغرض في موقفك منها "

يمسك السيجارة السحرية ويتطلع إليّ

" لو ما بتشربش السجاير عشان أنت راجل الإيمان في قلبك قوي وأي حرام بتبعد عنه في الدنيا وبتتغاضي عنه، أنا أقدر أفهم دة، لو أنت راجل رياضي جدًا ومضبط أكلك وحياتك ومواعيد نومك وتصرفاتك اليومية وعاداتك الغذائية، ممكن أفهم دي

برضو، لكن ماحدش فينا كدة خالص، إحنا بنرفض عشان حد قالنا دة غلط ودة حرام ودة عيب، من غير مانعرف ليه، إحنا بنرفض للرفض، مش للاقتناع، يعني فكرة زمان إن اللي بيشرب سجاير دة صايع، محطوطة في أذهاننا، ففي واحد مش عايز يخلي الناس تقول عليه صايع، نفس فكرة إن اللي بيشرب سجاير دة راجل، فبيشرب عشان برضو صورته قدام الناس، يعني مش باقتناع مدى صحة أو ضرر أي حاجة، عشان الصورة بس"

ياخذ نفس عميق وينظر إليَّ بتركيز ضاممما كفيه مثل الفنان هاني شاكر

" خالد، أنا عندي نظرية عايز أقولها لك"

أرد بتركيز

" اتفضل"

" فكرة خليك في النص دي فكرة غلط، الناس اللي في النص دي قمة الفشل، أنت ولا عارف حلاوة الإيمان ولا لذة الخطيئة، أنت حاطط نفسك في حتة لا أنت بتكسب الدنيا، وبتراهن على الآخرة، ورهان في مكسب وفي خسارة، يعني لو الحسبة من 100، فأنت بتراهن على 25% بس"

يقف لثانية ويستكمل

" نظريتي أنك عشان تتصلح لازم تكون بايظ أساسا، ما فيش يمين من غير شمال، لكن طول ما أنت في النص، أنت مش عارف حاجة"

أنظر له بشيء من الشك فيستطرد

" اغلط واعمل ذنوب، واكسر الرهبة الغير مبنية على أي أساس ديني اللي جواك ناحية الغلط دي، وفي ذنب من الذنوب دي حيرجعك للإيمان تاني"

أقاطعه

" ما أنا بغلط وبعمل حاجات غلط كتير"

" إيه يعني الغلط ؟ آخره إيه ؟ بتشوف فيلم سكس؟ دا غلط مغفور بالنسبة لك لأنه صغير، أنت محتاج تعمل حاجة ماعملتهاش قبل كدة تخليك تفهم يعني إيه ذنب "

وينظر إليَّ رافعا السيجارة ناحية وجهي

" والسيجارة دي أول الطريق"

أرد بهدوء حذر

" هو في حاجات تانية أكتر من السيجارة ؟"

يرد رافعًا سبابته تجاهي

" أنت اللي حتحدد أنت محتاج تروح لحد فين عشان تفهم قيمة الخير ومعني الإيمان، ذنب من الذنوب حيهزك ويفوقك "

أرد بشيء من الاعتراض وبإشارة استفهام بيدي

" أيوة يا عماد، بس أغلب البشر بيعملوا كل الذنوب اللي في الدنيا وبيفضلوا يعملوها كل يوم من غير ما يحسوا بأي حاجة، ومحدش بيرجع"

ينظر إليَّ نظرة ثاقبة

" أنا قولت لك من شوية "

يسكت لثانية منتظرًا مني أن أفهم وأرد، ولكني أظل ناظرًا إليه منتظرًا الإجابة

" الجشع يا خالد، أنك تحول خطيئة لعادة يومية إلزامية في حياتك، وتنسي أصلها، الجشع هو اللي بيربط سلاسل الشهوة في نفوس الناس ويسلسلها في الأرض، فتكون جبهتك دايمًا على الأرض، ساجد لرغباتك وذنوبك وما فيش حاجة تملي عينك إلا التراب"

يسكت، وأظل سارحًا في كلامه لفترة فيحاول طمأنتي

" لو حسيت كلامي مش صح، أو في النص خفت، ببساطة ممكن ترجع لحياتك العادية، وتنسي كل اللي عملناه، اعتبره لحظة طيش، أو مبرر لنفسك "

يسكت لحظة ويستكمل وهو يخرج سيجارة لنفسه

" وأعتقد أنك كويس في موضوع المبررات لنفسك دي "

لم أفهم تلك الجملة، أو بالأصح لم أفهم الغرض من تلك الجملة وما يقصد بداخله، يشعل السيجارة لنفسه، ثم ينظر إلي ويمد بالقداحة إلي وهو تعلو وجه شيء من الابتسامة

" تسمح لي أولع لك ؟ "

أنظر إليه للحظة، ثم إلي السيجارة، أمسكها وأداعبها بيدي، بالطبع لم أكن خائفًا من تدخينها، لا شيء يرهبني حتى منها أو حتى إدمانها، كل خوفي ينصب ناحية ما وراءها ماذا يحدث بعد تلك السيجارة ؟ رغم كل ما قاله والذي يبدو إليَّ منطقيًا بعض الشيء "إذا ما كانت الفوضى الخلاقة شيء منطقي" إلا إنني لازلت أجهل ما بداخله، لماذا في الأساس اختارني، هل يراني مثيرًا للشفقة إلي هذا الحد ؟

أنظر إليه، وأضع السيجارة ما بين شفتي، فيشعل هو النار و يدنو بها ناحية لفافة التبغ السحرية، أتخيل بينما هو يشعل القداحة و يقترب بها مني، أنني أحمل داخلي قنبلة، يخرج فتيلها من فمي، وأعرض عليه بكل سذاجة أن يشعل الفتيل، لا أعرف ما الذي أفعله، ولكنني مللت بما فيه الكفاية، وبيني وبين نفسي أميل لأن أخوض تلك القصة التي يريد هو أن يكتبها لي، أن تجعل شخص خر يكتب في كشكولك لأنك سئمت من كتابة نفس الصفحة كل يوم، لعله يكتب شيئًا جديدًا، أو يمزق أوراقه ويسطر لك بدايةً جديدة قد تكون سعيدةً أو حزينة، لا يهم .. ولكنها تنقذك في النهاية من ملل نفسك و تعاستك المستديمة.

يُشعل السيجارة، وكما هو متوقع أشعر بالاختناق فأكح قليلاً ثم أتمالك نفسي وأعود لأسحب منها بضعة أنفاس، لم أفهم شيء ولم أحس بمتعة، ولكنني أجدها ليست بسيئة، شيء جديد ظريف، ينظر إليّ منتظرًا أي رد فعل

" إزي الحال ؟"

آخذ نفسًا من تلك السيجارة وأنظر إليه ..

" عادي"

" شفت يا سيدي، ولا سرطان جالك ولا البوليس بيجري وراك "

" ولا استفدت حاجة برضو"

" يعني أنت مش مستغرب ؟"

" آه مستغرب أكيد"

" مش فيها شيء من لذة صغيرة ؟"

" ممكن"

ينظر إلي مبتسمًا شارعًا في تدخين سيجارته

" بداية كويسة يا أستاذ خالد"

ينظر إليّ مبتسمًا

" بداية استجابتك للعلاج بتوحي بحاجات كتير "

" حاجات كويسة ؟"

" نتائج أولية بس، لسه قدامنا حبه عشان نعرف تأثير النيكوتين في الدماغ "

أبتسم لثانية وأنظر له بينما أرتشف من القهوة الباردة رشفة

" والمفروض إني أشتري علبة سجاير وكدة ؟"

" لا خالص، زي ما قولتلك، اعمل الغلط، بس من غير جشع "

ويستطرد بشيء من التأكيد

" خد شهوتك من غير طمع "

" والمرة الجاية بانجو ؟ "

" لا بلاش هبل "

ثم يستكمل

" برشام على طول، إحنا لسه حنتدرج "

يضحك كل منا على المزحة المتوقعة المتكررة

ماذا أفعل ؟

انتهي من السيجارة ونظل صامتين قليلاً، أطلب منه سيجارة أخرى فيعطيني، أدخنها في هدوء بينما أستمتع بالهدوء والنيل، اطلب كوبًا آخرًا من القهوة، وهو أيضًا نجلس قليلاً حتى أقطع ذلك الهدوء

" والخطوة الجاية إيه، حنعمل إيه يعني ؟"

" مش لما تكمل الخطوة الأولانية الأول"

انظر له باستغراب فيرد

" أنت لسة بتقول يا هادي، خد وقتك وآدينا مع بعض، وكل حاجة حتيجي لوحدها، متحطش حاجة بدماغك، وسيبها وشوف "

ينظر إلى النيل متأملاً ثم يقول :

" أنا عايزك وأنت بتتغير تبص لحياتك والماضي، وتفهم إيه اللي كان حيحصل لو كنت اتغيرت، وقتها حتفهم وتقدر قيمة اللي بقولهولك"

أنظر له، ونصمت قليلاً متأملين النيل والنقاش الدائر، ثم أنظر له وأقطع الصمت

" طيب مدام النهاردة سيجارة بس، يبقي يلا بينا "

يبتسم وينظر إليّ

" ماشي، يلا "

طبعًا يقوم هو بدفع الحساب كأي ثري عربي قام باصطياد شاب حليوة من هيلتون رمسيس، نتمشي حتى نركب العربية، صامتين، حتى أمسك هو علبة السجائر وأخذ سيجارة، ونظر إلي، فهززت رأسي رافضًا السيجارة، ولا أعلم لماذا قمت بالرفض تلك المرة؟ حتى وصلنا إلى نفس المكان بعيدًا حوالي عشرة دقائق عن بيتي، نزلت ونظرت له رافعًا يدي للتحية، فقطع هو الصمت قائلاً

" حشوفك قريب، حبقى أكلمك "

" إن شاء الله "

" سلام "

" سلام"

لا أعلم ماذا حدث لي؟ كنت متحمسًا للبداية وعندما بدأت لم أجد شيئًا جديدًا، أو لم تكن في السيجارة ما أتوقعه، ولم أجد ضالتي في السيجارة، أو الارتياح، أحسست بأنني فعلت ذنب بدون مقابل، بدون جدوى، وأنا أقوم بتدخين تلك السيجارة كنت أبحث عن شيء ما لم أجده، هل هكذا كل شهوة في الحياة ؟ حين تدركها وتنتهي منها تشعر بالندم ؟ إنها في النهاية مجرد سيجارة، ولكن من يدري ماذا وراءها ؟

أخذت في المشي حتى وصلت إلى البيت، وعقلي كالطاحونة يفكر في السيء والجيد،

" دي مجرد سيجارة، في إيه يا عم"

أردد لنفسي، ولكنني لا أقتنع، عقلي مُشتت بين الشعور بالذنب، وأنني فعلت لعماد ما يريد، ورغبة الخروج عن المألوف، و صورتي التي قد تهتز جراء ما أفعله، في النهاية أنت ابن سمعتك، من يقول دع الناس محدش حيفيدك بحاجة لا يفهم شيء عن هذا العصر، فحكم الناس لك أو عليك هو شيء قاتل، فإذا كنت " غلبان زي حالتي" عندما تظهر في المنطقة لا أحد يقاطع تأملك " دة هادي و كلامه قليل "، وإذا طلبت شيء يُطاع من باب الغُلب " اعملوا اللي هو عاوزه أستاذ خالد دة ابن حلال و راجل مؤدب"، و أيضًا لا أحد يقصدك في خناقة أو نقاش أو تصالح " دة غلبان مياكلش مع الناس دي"

ببساطة علاقتك بالناس قد تكون سبب يسهل عليك أمور الحياة اليومية أو يصعبها، سيقولون إنني أخاف من المواجهة، سيقولون إنني ضعيف.. ربما ... طالما لن يقولوه في وجهي أنا راضي

دع من يجد الحياة أرض معركة لحربه، ودعوني أرعي الغنم في هدوء.

وبينما كنت أسير وجدت كشك بجانبي، توقفت أمامه للحظة أنظر فإذا بي أجد مجموعة من المراهقين أكبرهم لا يزيد عن خمسة عشر عامًا يتبادلون المزاح بصوت عالٍ والسِباب والحركات البذيئة ويدخنون، بينما كانت فكرة شراء علبة سجائر تتمشي بجاني أسوار عقلي، أجدها تجري بعيدًا عنه، إلى أين يريد أن يأخذني معه، أشعر بشيء من الغضب أسرع الخُطى إلى البيت، أصعد إليه وأقرر إنني عندما أستيقظ سآخذ القرار.. ليس الآن.

****

الساعة السادسة والنصف

يوم الخميس

والسؤال الأول يدور حول رأسي

هل أذهب إلى العمل أم لا ؟ جميعنا نحلم هذا الحلم، أن يكون لنا الخيار في أن نذهب العمل وقتما نشاء، وأن نأخذ إجازة عندما نريد، لكننا لا نملك رفاهية الاختيار، البعض يقرر أن يفتح لنفسه مشروعه الخاص، ليملك تلك الرفاهية، ليجد نفسة يجري خلف ذلك المشروع الذي يحاول أن يجعله يقف على قدمه، وعندما يقف المملوك، يقع المالك، أنهض من سريري وأتمشي إلى الشباك، أقف لأتأمل بداية اليوم الجديد وكيف يستقبله الآخرون، لأجد الناس جميعًا يسيرون على نفس الوتيرة، نفس الرأس المنحنية، يجرون أقدامهم كالموتى، يسيرون نحو المجهول، حتى يذوبوا في الزحام، كم هو إيجابي أن تعيش في مصر، الشيء الوحيد الذي كنت ترى فيه الأمل هو الأطفال الذين أصبحوا الآن يسيرون في عشوائية كقفزات الجراد، يتحاكون عن الجنس و ينعتون بعضهم البعض بكل ما هو بذيئ، يتحدثون عن فنانات العري

ولاعبي الكرة المخمورين، يرون النجاح في قدرتهم على لمس مؤخرة فتاة بريئة، كل ذنبها أنها تمشي في الشارع، كم هو جميل ما آلت إليه مصر !

في النهاية قررت أن أذهب للعمل

لأساند جموع ((الزومبيز)) مسيرتهم نحو الضباب، أسير وبداخلي أحمل ذنب الأمس وأمل الغد

" دي مجرد سيجارة، في إيه يا عم"

لا ليست كذلك، إنها بداية الانهيار، بداية الطريق إلى المجهول أكثر مما أعيش فيه، هل لأنني لا أجد الطريق إلى الله، عليَّ أن أعكس اتجاهي ؟ هل من المنطق أن يكون طريق المواظبة في شعائر الدين أن أبتعد أكثر، كيف اقتنعت بهذا المنطق ؟ لقد اختار لحظة ضعف وحيرة حتى يضعني في اختيار بين الروتين والمجهول، كيف لي أن أقبل حل لمشكلة باصطناع أخرى، أين كان عقلي ؟

أرتدي ملابسي كالعادة، أنزل بخطوات ثقيلة، لأجد نفسي عندما خطت قدمي الشارع أتحول إلى ذلك ((الزومبي)) الذي يسير إلى المجهول، مثقلاً بخواطري، منهكًا من أحداث حياتي اليومية، أذهب إلى العمل، الجميع يسأل عن صحتي" على أساس إنني كنت مريضًا بالأمس" أجد نفسي أرد ببرود ليس معتادًا مني، وأجلس لكي أري أوراق عملي..

في منتصف النهار أقرر أنني سأنهي تلك القصة

أمسك هاتفي، أنظر إليه قليلاً في حيرة.. ماذا أفعل؟ ثم أقرر

أفتح الرسائل وأقرر أن أرسل له رسالة نصية، ماذا أكتب بها ؟

أفكر قليلاً، ليصبح القليل كثير، ثم أجد نفسي أمسك الهاتف وأكتب

" أنا انسحبت، مش عايز أكمل"

إرسال

تم إرسال الرسالة

ورسالة توضح استلام الطرف الآخر

أضع الهاتف جانبي، وأستكمل عملي، مختلسًا النظر للهاتف كل دقيقة،

لم يرد، لا شيء

أغرق داخل الأوراق والفواتير، لأجد نفسي أنسى كل شيء وأنهمك في العمل،

أو ذلك ما أريد إقناع نفسي به

صوت رسالة

أنظر إلى الهاتف قليلاً، وتتجه يدي إليه، شعرت أن يدي تسير ببطء حتى أمسكته

" قرارك "

فقط

تلك كانت الرسالة وذلك كان الرد،

إجابة لا توحي بشيء سوى بالمزيد من الغموض، أفقد إيمانه بي ؟ أم شعر بالضجر والملل من أسلوبي ؟ أم هناك شيء في عقله ؟

كالعادة، لا أعرف ..

استكمل باقي اليوم محاولاً تجاهل كل شيء، وغلق تلك الصفحة " اللي فتحتها على نفسي" لكنني أجد أنه ليس بالشيء السهل، فأستكمل مسلسل التجاهل والانهماك حتى ينتهي العمل،

أتوجه كالعادة إلى البيت، وأحاول أن أقنع نفسي بأنني أغلقت تلك الصفحة من حياتي ولكن من الواضح أنني لا اقتنع، هناك شيء ما ينقصني، شيء لم يكتمل في تلك الحلقة المفرغة التي تدور في رأسي ويتوسطها صورة عماد.

وبينما أسير يرن الهاتف، أخرجه بسرعة، أمي

" أيوة يا حاجة"

"آلو"

أيوة يا حاجة "

" آلو"

" أيوة"

" خالد ؟؟؟"

" هو أنتِ يا ماما مش فتحتِ الأسماء وجبتِ نمرة ((خالد ابني)) ودوستي اتصال ؟ حيرد عليكِ سامي الشيشيني يعني ؟"

" علم أمك الأدب، ما أنا ما عرفتش أربيك"

متجاهلاً ما قالته

" أيوة يا حاجة عايزة إيه ؟ "

" ويعني لما أعوز حاجة حد بيعبرني ؟"

يا صبر

" أولا أنتِ ما بتطلبيش غير مني وما فيش حد عايش معاكِ في الشقة غيري"

" ذِل أمك باللي بتطلبه منك عشان تأكلك وتشربك، فعلا رباية ناقصة "

" حاجة أنتِ اللي مربياني، ما تلوميش غير نفسك "

" كمان بتقل أدبك، أنا ربيت أحسن تربية، شوف أختك فين وأنت فين وتعرف تربيتي كويسة إزاي، بس يخلق من ضهر العالم فاسد، وصوابعك مش زي بعضها " يخلق من ضهر العالم فاسد ؟ أنا ما أعرفش إزاي بني آدم طلع من ضهر بني آدم تاني لأن ما فيش غير حتة واحدة يطلع منها وأنا مش عايز حتى أتخيل المنظر دة

" أيوة يا ماما، يعني أنتِ عايزاني أروح أشتري تربية لنفسي ولا إيه ؟ "

" استظرف استظرف، ما دة اللي أنت فالح فيه "

" أيوة يا ماما يا حبيبتي، تؤمري بإيه ؟"

" عاملة الغدا النهاردة ساندوتشات، عايزة إزازه كاتشب كبيرة وعلبة طحينة صغيرة"

" كاتشب وطحينة، إيه الساندوتش اللي بيشترك فيه الاتنين دول ؟"

" ساندوتشات كبدة "

" يا ماشا الله، أجبلك كمان مستردة ؟"

تيت تيت تيت

الحمد لله، أنهت المكالمة .

أذهب إلى محل في كلود بيك، لأشتري ما طلبته مني، ومشروب غازي، وأتجه إلى المنزل،

وأنا على مقربة خمسة أمتار من المنزل، يرن الهاتف

أمي مرة أخرى

" امممممم"

" ما ترد على أمك عِدل يا ابني أنت "

" هاااااااه"

"هاه لم ترفصك، هات معاك كولا وأنت جاي"

" جبت "

" من إمتي الشطارة دي، طيب تعالى "

" حاضر"

أقف وأنظر إلى السماء لوهلة، ثم أستكمل السير

أفتح الباب لأدخل وأشم رائحة الكبدة في كل البيت، أدخل المنزل لأجد أمي، أضع الكيس في هدوء جانبها

" وجبت لك شيبسي كمان"

تنظر إلي بطرف عينيها

" الحداية لما تحدف كتاكيت "

" يعني يا واحد يطلع من ضهر واحد، يا حد يرمي حد، بطلي أفلام الرعب دي يا أما"

أتركها وأدخل الغرفة لأغير ملابسي، تلك هي أمي ومزاجها مقلوب، هي طيبة ولكنها كأي امرأة تعشق الدراما والأمثال الشعبية الغير مفهومة المصدر

أجلس قليلاً أمام التلفاز التافه، الذي لا يقدم إلا كل ما هو تافه وخليع وجاهل، تأتي أمي حاملة طبق بيضاوي به هرم من الساندويتشات، تضعه وتعود لتاتي بطبق من الشيبسي و تحمل زجاجة الكولا، بينما تمتد يدي في هدوء للساندوتش تلو الآخر، آكل وأشاهد التلفاز في هدوء وسكينة، بينما أمي تذهب لتأتي بالنظارة لكي تشاهد معي هذا الصندوق اللعين، تتشابه أمي معي كثيرًا، برغم اختلافي الدائم معها، و هذا أمر منطقي، باختصار نتشابه في كل شيء عدا شيء واحد، إنها امرأة، لديها الكثير لتخافه ولكي تقوم بدراسته وعمل خطط لمواجهته، المرأة حيوان يتغذى على الأمان والطمأنينة، و لكن لسوء حظها تختلف مع سامية، سامية متفتحة قليلاً وجريئة، وهذا لم يكن يناسب طباع أمي أبدًا، كنا دائمًا نقف أنا و أمي أمام اختياراتها المختلفة عن مبادئنا، حتى بعد الزواج استمع كثيرًا إلى جدل قائم على الموبايل أو في البيت، طالما وحيد ليس حاضرًا

المهم ..

أنتهي من الغداء وأذهب إلى غرفتي، أقوم بتشغيل الكمبيوتر، ثم أنادي على أمي لعمل الشاي، أجلس أمامه قليلاً، أشغل أغنية للفنان ليستر يانج، لا أعرف أي شيء عنه سوى أن أحد أصدقائي في العمل كان يعطيني بعض الموسيقى وتقريبًا نقلها معها عن طريق الخطأ، شيء مثل موسيقي الجاز، التي في الغالب تبدأ ببعض موسيقى الجيتار الجميلة الهادئة، وبعض تقاسيم البيانو المدهشة، قبل أن يدخل شخص قبيح كان على الأرجح سباح أو عداء، يلعب على إحدى أدوات النفخ و يظل ينفخ وينفخ حتى تشعر بالهواء يخرج من السماعة، لا تعلم من أين يأتي بهذا النفس الطويل، ولكنني أتبنى فكرة جاءت لي وأنا أشاهد أحدهم في فيلم أجنبي، فعادة عازف تلك " الزمارة " يميل

بجسمه للأمام كأنه يهم أن يلتقط شيئًا من الأرض، مما يوضح أن مجري كل هذا الهواء الذي يخرجه بدايته تأتي من مؤخرته، هذا يفسر كل شيء، عندما أحضر فرحًا وأجد النسخة المصرية التي تحمل المزمار، و هو ينفخ و يرقص كأنه سيخرج ثعبان من تحت الأرض، تأتي لي الفكرة أن أساعده وأضع له مزماره في مصدر دخول الهواء، ذلك سيعطي له دافع أكبر لموسيقى أعلى، و سيعطي لي الراحة النفسية على أنه سيشعر لأول مرة بمعاناة من يسمعونه.

تدخل أمي بكوب الشاي وتضعه على المنضدة ثم تخرج من الغرفة، أستلقي على السرير حاملاً كوب الشاي مستمتعًا بالموسيقى الهادئة " حتى الآن" أغمض عيني ولا أفكر في شيء، حتى يرن الهاتف

عماد

ليس لدي سوى أن أرد عليه، المواجهة هي الحل

" آلو "

" خالد، إزيك "

" الحمد لله، عامل إيه يا عم عماد "

" إيه قاعد في البيت النهاردة "

" آه تقريبًا، وأنت ؟ "

" لا أنا خارج شوية "

" مممم، هيص يا عم"

أعتقد أنني يجب أن أتكلم بلهجة عادية حتى لا يشعر بالتوهان الذي يعبث بداخلي

" ماشي يا عم، وأنت كمان هيص"

" جهيص في البيت"

" المهم تكون مبسوط "

يسكت لثانية ثم يستطرد

" حتنام إمتى النهاردة ؟"

" مش عارف، ليه ؟"

" كنت عايزك تيجي معايا نصلي الفجر"

لم أفهم شيء

" يا سلام !!! "

" وماله، وإحنا مش مسلمين ولا إيه يا عم خالد ؟!"

" لا مش قصدي، بس مش عادتك "

" وأنت إيه عرفك ؟ مش يمكن نتهدي سوا ؟"

" الله عليك يا شيخنا، والصلاة دي حتبقى في جامع الليل بشارع الهرم ؟"

" لا حوديك جامع هايل "

" شكرًا يا عم، أنا حصليه في بيتنا "

" يا راجل !"

" يا عم حنام خلاص "

" طيب خلاص أوكي "

يسكت لوهلة

" حكلمك قبل الفجر بنصاية، وأعدي عليك في أول الشارع"

" يا ابني أنت عايز إيه من أمي "

" أنا عايز أكسب فيك، ثواب "

يأخذ نفسًا بصوتٍ عالٍ

" حكلمك أصحيك يا خالد بيه "

" لو صحيت "

" ماشي، سلام "

" سلام "

جامع،،،،، جامع إيه، وصلاة فجر إيه، إيه الهجص دة ؟

أنا أعرف عماد جيدًا، لن يضحك عليّ بكلمة جامع لأجده يصحبني إلى ماخور مثلاً، هو قالها وهو يعنيها

ثم إنه يوم الخميس .. الليلة التي يهواها كل متزوج ليحظى باللذة الحلال، والغير متزوج ليحصل على ذنبٍ زائل بتكلفة عالية، والأعزب المكافح مثلي لكي يحظى بشيء من النوم، بالنسبة لي هو يوم الثبات العظيم، يوم لا يقطعه منبه، ولا نداء العمل

أرجع إلى هدوئي، موسيقتي وكوب الشاي وأشرد ، أشرد، حتى أنام

هل سيتكلم حقًا ؟

وليكن !

الفصل السابع

المجد للخطيئة

رسالة

حبيبي

هل لقصتنا نهاية ؟
نهاية سعيدة في بيت واحد !!
متزوجين كنا أم هاربين من الواقع الأليم
أم أنّ قصتنا كقصصِ المراهقين
التي يطويها الزمن
ونرويها لاستدعاء السخرية؟
لست عرافة لكي أري المستقبل واتكهن بما هو آت
فكن بلورتي السحرية
وطمئن قلبي
وقلها لي
المجد للحب

*****

الساعة الثانية والنصف صباحًا

رنين الهاتف

إنه عماد

لن أرد، برهة ويسكت الهاتف

ثم يعاود الرنين، مرة أخرى

وثالثة

ورابعة

" آلو"

" ناموسيتك كحلي "

" مش فاهم "

" صحيت يعني يا خالد"

" لا خالص أنا بنام أهو"

" ربع ساعة ونفس المكان"

" يابا أنا نايم "

" مستنيك..... سلام"

شيء في لهجته، هو بقدر ما يطلب هو في الحقيقة يأمر، يرى نفسه يعلم أين المصلحة

سأذهب لكي أعلم فقط فيما يفكر

أدخل الحمام لكي أتوضأ، ثم ألبس ملابسي العادية وأنزل إلى الشارع،

أعشق رائحة ما قُبيل الفجر، هدوء وشوارع فارغة، تكون النفس فيه هادئة، ومُقبلة على كل ما هو طيب..

أمشي إلى نفس المكان، أول شارع الفجالة، بجانب أعظم صرح في القاهرة، ميدان رمسيس، حتى في منتصف الليل هناك من يمشي، من يبحث عن مواصلة لتقله إلى

بيته، من يشتري الطعام من محل يعمل 24 ساعة بدون توقف، لا شيء ينام في رمسيس حتى الباعة الجائلين، هؤلاء الذين يبيعون الخردة والحلوى منتهية الصلاحية والطعام الفاسد، كل هذه اللوحة تعبر عن السباق اللانهائي للبحث عن الرزق، ما الذي جعل الإنسان يصل إلى هذا الكم من اللاوعي، أن يبيع أي شيء حتى ما يعلم أنه فاسد إلى شخص يشتري أي شيء ليضعه في جوفه بلا مبالاة، إنه الفقر..

أمشي حتى أجده في نفس المكان منتظرًا، هذه المرة مرتديًا " ترننج "، أركب معه السيارة كالعادة، ألتفت وأنظر له بنوع من الضيق

" إزيك يا عم الشيخ، واخدنا فين المرة دي ؟"

" حنصلي الفجر "

" لا.. ماشا الله، ربنا يهديك، ودي حنصليها فين دي ؟"

يبدأ في السير بالسيارة مسرعًا ناحية غَمرة

" في جامع حيعجبك "

" بيدي حسنات زيادة يعني ولا إيه ؟"

يرد باقتضاب

" ظريف أوي"

" ما كنا روحنا أي جامع قريب "

" أنا حوديك جامع كويس، اصبر وحوريك "

" ودة فين إن شاء الله "

" مصر الجديدة "

" يا عم نعمل عمرة أقرب "

يصمت، وعلى عكس عادته، يسير بسرعة كبيرة لأسمع صوت السيارة تطلق صفارة تجاوز السرعة، كنت أهم أن أعلق ولكن خفت في قرارة نفسي أن أدفعه للانتحار وأنا معه، فقررت الصمت

نصل إلى وجهتنا

جامع كبير في شيراتون، يقوم بركن السيارة لنخرج و نتمشى إلى الجامع..

مسجد " الصديق " اسمه تقريبًا، أدخل لأجد المسجد جميلاً، له بهو ليس له سقف على الطراز المكي، رائحة الفجر التي كانت تنتشر في هواء الشوارع تصحبنا داخل المسجد، بعد أن دخلنا توجهت إلي أول المسجد لأصلي، لأجد شيخ عجوز يتقدم ناحيتي مبتسمًا، يمسك بزجاجة عطر صغيرة، يستأذنني بأدب ليضع لي قليلاً على يدي، فأمدها ليضع قليلاً على كل يد، أفرك يدي وأمسح على ملابسي بها، كل شيء يعطيك قدر من الطاقة الروحانية، أشعر بنوع من السعادة، أصلي ركعتين السنة وأنا منشرح القلب، أجلس قليلاً لأستغفر، لأجد عماد يقوم بالمثل، أنظر له نظرة ثناء على اختياره لهذا المسجد، يقيم الشيخ نفسه الذي أعطاني العطر الصلاة، نصلي، صوت الأمام هادئ و جميل، يتماشى مع تلك اللوحة الروحية التي ترسمها صلاة الفجر بأجوائها الساحرة ..

ننتهي من الصلاة نجلس لدقيقتين ثم يشير إلي إذا كنت أريد أن أذهب، فأوافق بإيماء رأسي، ونتجه سويًا ناحية الباب، نركب السيارة دون أية كلمة، يسير قليلاً ليتوقف بجانب كشك قريب

" تشرب حاجة ساقعة ؟"

" ما فيش مشاكل، وماله "

" طب يلا ننزل"

" يلا "

ننزل سويًا، لنختار من أمام ثلاجات العرض، أُصر أنا تلك المرة على دفع الحساب، لكسر نظرية الثري العربي وشاب شارع شهاب قليلاً، يستند على السيارة بينما أنا واقف،

" ها حاسس بإية ؟"

" لا بجد الجامع هايل أنا أول مرة أشوفه "

" كويس إنه عجبك، أنت بقى إيه إحساسك ؟"

" جميل أوي، حاسس بسعادة "

" أيوة .. ليه أنت حاسس كدة ؟"

" أنت حتبتدي فلسفة صح ؟"

" لا أنا بس عايز أسألك، أنتَ سعيد علشان صليت الفجر ؟"

" أه طبعًا ودي عايزة كلام ؟"

" أكيد، أنت كنت سعيد بالجامع، الجو، الهدوء، لكن آخر حاجة الصلاة "

" الله عليك يا عماد وأنت بتدمر أي حاجة حلوة أو ليها معنى بفلسفتك التي لا تنتهي"

" أضحك عليك يعني ولا أنت عايز إيه ؟"

" لا ما تضحكش بس الهرس دة ما ينفعش تدخله في الدين "

" لو انبسطت عشان الصلاة، يبقى ليه ما بتصليش عمومًا مادام هي حلوة كدة، اللي بيصلي مش محتاج جامع حلو وجو جميل عشان يصلي، اللي بيصلي دة يا حد متعود وهي عادة عنده، يا واحد مؤمن ودول قليلين، والباشا مش حاجة في الاتنين زي ما أنا شايف"

ينظر إليّ ويستطرد وهو يخرج علبة السجائر من جيبه

" الإيمان دة شيء نسبي"

" ودة إزاي يا حاج آينشتاين "

" يعني بيختلف من إنسان للتاني، وما لوش علاقة بكم العبادات اللي بتتعمل قد ما له علاقة بتصرفات الإنسان وطريقة مواجهته لحياته، الإيمان شيء نظري وغير مادي، تعبد الله كأنك تراه، كأنك، مفيش دواء ممكن يزوّد الإيمان مثلاً، ليه علاقة بمعتقدات الإنسان الداخلية، حاجة كدة عايزة شرح "

يضع السيجارة في فمه وينظر إليّ

" من الآخر، حاجات كتير"

ويستطرد ناظرًا إليّ

" ما فيش منهم ولا حاجة فيك"

أنظر إليه بشيء من الدهشة

" يا سلام، قصدك أنا مش مؤمن"

" أنا لسة قايل لك الموضوع دة من دقيقة لو تلاحظ "

" ملحد يعني ؟"

" لا ما قولتيش كدة برضو"

يشعل السيجارة ويأخذ نفسًا ثم يشير بها

" أنت زي ناس كتير قوي، اتعلمت حاجات كتير قوي عن الدين، وقالوا لك إن دة الصح ولازم تعمله، فا بتعمله، إحساسك بالرضا مش نابع من إحساسك بإنك بترضي ربنا، بس بإحساس إنك عندك واجب وعملته وبس، ناس كتير منتظمة في الصلاة، مش لأهمية الصلاة، بس لأن الصلاة مهمة لعدة أسباب ربنا ما لوش علاقة بيها، في ناس بتصلي لأن الصلاة من سمات الشخص الجيد فهو عايز الناس دايمًا شايفاه كويس، في ناس بتصلي لأن اللي حواليهم كلهم بيصلوا، في ناس بتصلي للعادة، وهكذا، الصلاة مقياس إيمان للي بيصلي وهو عارف قيمة اللي بيعمله إن دة واجب له أسباب"

" أنت بتضرب بلد كاملة مفك في سمعتها بالكلام دة "

يبتسم قائلاً :

" عارف أنت ليه الناس بتؤمن بالدجل والخرافات وحظك اليوم والهبل دة"

" عشان إيمانهم ضعيف "

" لا مش بالضبط ، القضية مش كدة خالص، دول عندهم إيمان قوي"

" أكيد دة كلام صح، دة لو إيمان خالتك مثلاً "

يضحك وينظر إلي

" لا يا عم أنت مش شايف"

" شايف إيه يا أبو إيمان"

" الناس دي مؤمنة جدًا، بس بالقدر، الناس ما بتخافش من ربنا، مش قادرة تتخيله عشان تؤمن بيه، زي اليهود في قصة سيدنا موسى، بتؤمن وتخاف من الأحداث، من القدر، وتعتقد إنها تقدر تلعب فيه وتغيره لصالحها، حقولك حاجة، مش في إفريقيا واآسيا بلاد بتعبد الرنجة وبلح الشام وأي حاجة يشوفوا فيها عبرة"

" ما أعرفش ناس بتعبد الحاجات دي بس آه في حاجات كدة"

" أهي دي النسخة الغير متحضرة من الناس اللي بحكي لك عليها، الناس عايزة حاجة مادية وتدي لهم مقابل على الإيمان بها والإخلاص لها، يعني أنت لو بصيت في حظك اليوم لمدة شهر، ولقيت كل ما يكتبوا حاجة بتحصل لك، حتؤمن بيه وحيتحكم في مودك وفي حكمك ورؤيتك للأحداث، أنت بقيت مؤمن بيه رغم إنه شرك واضح"

" شوف لي مثال غير حظك اليوم عشان تقنعني أنا بكره البتاع دة "

" يمكن عشان ما لقتش فيه مرة حظك صح"

" بلاش فلسفة أهلك دي"

" طيب يا عم ما تتضايقش"

يأخذ نفسًا من السيجارة وينظر إليها بشكل سينمائي

" بص أنت محتاج إنك تؤمن عشان توصل للي أنت عايزه "

" ودة اللي أنت حتخليني أعمله، بإنك تخليني أشرب سجاير"

" خالد ممكن تحاول تفهم من غير أسئلتك الاستفزازية وأجوبتك الرخمة دي"

" طب قول لي أقولك إيه ؟"

" ما تقولش، اسمع الكلام من سكات، نفذ وأنا حخليك تشوف نفسك في النهاية حتبقي إزاي"

" بص يا عماد، أنا عارف إن كلامك فيه منطق، وأنا ما أنكرش إني ساعات بميل لمنطقك، بس في الأول والآخر أنت وأنا عارفين إن الأصل هو الحلال، الأصل هو الدين"

" وأنت يا خالد اتعلمت حاجة من الدين وأنت صغير ؟"

" اتعلمنا أكيد "

" اللي هو إيه، احكي لي عن إيه اللي اتعلمته وأنت صغير وأثر فيك وفي قراراتك الحياتية "

" حاجات كتير "

" ما تقول أم حاجة فيهم"

" قصص الأنبياء مثلاً "

ينظر إليّ وتضيق عينيه قليلاً بإمعان

"خالد "

" إيه ؟ "

" هي أمك اسمها إيه "

" ليه ؟ عايز تتقدم ؟"

" عشان أعرف اسمها إيه اللي أنا ناوي أتهمها بأنها كانت ماشية في السكة البطالة وكانت بتحب الراجل بتاع كشف النور "

أرد ضاحكًا ومستغربًا

" ليه يا عم أنا قولت إيه بس ؟"

" بص يا خالد، عشان ما أشتمكش، واحد، أنت بتقول أي كلام، يمكن دي الحاجة اللي أنت فاكرها من حصص الدين، بس مش هي اللي أثرت فيك خالص"

يرفع صباعه في الهواء بشكل فيه تهديد ثم يصوبه تجاهي

" اتنين، قصص الأنبياء فيها عبرة لشحط زيك ؟ لشاب في العشرينات، يقدر يفهمها و يستوعبها، لكن عيل صغير بيشوف لورد أوف ذا رينجز و هاري بوتر والمفروض إنه ما يصدقهمش، نحكيله معاها قصص الأنبياء اللي كلها معجزات عشان يقارنها بيهم، و يبتدي يقارن ما بينهم، وبعدين عايز تفهم عيل صغير إن في نبي قال لابنه تعالى ادبحك و ابنه قاله ماشي يا بابا يالا بينا، حيفهمها إزاي طيب؟ حيعقل القصة منين؟ وإيه الدرس المستفاد، إنك تسمع كلام بابا، طب بذمة أهلك الفالصو، أنت لما اتحكت لك القصص دي هل أثرت فيك وقعدت شبابك فاكرها ؟؟"

" الأمانة مش فاكر إيه الإحساس، بس فاكرها وعارفها"

" يا فرحتي، وعملت بيها إيه"

" أكيد عملت بيها حاجة، بس مش فاكرها"

" طب بس وحياة الطاهرة اللي كانت سيرتها حتتجاب باللعن "

حقيقة .. كان عماد قد أصابته بعض العصبية، ربما أنا حقًا مستفز، أعرف

" ممكن تهدا يا عم عماد، وكله حيمشي من غير سيرة الحاجة ما تيجي، وبعدين أنا بستفهم منك يا أستاذي النجيب"

يبتسم ابتسامه خفيفة ويرد بعصبية

" المهم تفهم وتعرف ‘‘

" أنا بقتنع، بس مش داخل جوايا موضوع إني أعمل غلط عشان أتحول للصح مش نافع خالص"

" بص يا خالد تسمع عن حاجة في الكهرباء اسماها Impulse response "

" دة اللي جوة ستارتر اللمبة النيون "

ينفخ نفخة قصيرة، يبدو إنه بدأ في الضيق من تعليقاتي

" لا يا بابا، دي حاجة بياخدوها طلبة هندسة نظرية"

" وأنت عرفتها منين ؟"

" مش مهم وأنت مال أمك، اسمع وبلاش تعليقات يا خالد، أنت بقيت مستفز "

واضح إنه كان يكتم في نفسه الكثير من الضيق،

" ما تقفشش يا عماد، مش أعرف المصدر، عشان لو حد سألني أبقى متأكد وأنا بحكيله"

ينظر لي بعين قد بدأ اللون الأحمر يظهر بها

" خلاص يا عمدة أنا حسكت خالص، قول النظرية "

يسكت للحظة وينظر إليّ

" هي مش نظرية، دي حاجة كدة جت قدامي، بس أنا فهمت منها اللي حقولهولك"

كان في قمة التركيز، مما جعله في خلال هذا الحوار يشرب السيجارة وراء الأخرى، لم تكن بالطبع تساعده على التركيز بقدر ما كانت تحافظ على الحالة النفسية العامة له، ارتباط الإقناع بشرب السجائر لديه يقنعه داخليًا أن التدخين سيبقيه على نفس النمط ..

" لما ييجو يختبروا سيستم كهرباء أو دايرة كهرباء، بيعملوا الاختبار دة، بيدوا للنظام Pulse يعني نبضة بالعربي، ويقيسوا برسم بياني زي بتاع دقات القلب مدي استجابة الجسم دة للنبضة، لو السيستم أو التصميم دة مستقر، مابيديش رد فعل، لو غير مستقر بيبقي ليه رد فعل بيبان إذا كان كبير ولا صغير على الرسم البياني، فيبتدوا يغيروا في التصميم لحد ما يستقر بس "

يسكت لحظة وينظر إليّ، فلا أعلق فيستطرد..

" وهو دة اللي أنا عايز أعمله"

طبعا أنا كنت سأقول " عايز تديني نبضة يعني ؟"

لكنني أحب أمي وأرفض إهانتها أو أن ينسب لها أي شيء باطل عن ماضيها الطاهر

" أنت سيستم غير مستقر، أنت يبان من بره إنك هادي و معجب بحياتك والحياة روتينية وأنت سعيد والدنيا ربيع، بس مش هو دة الحقيقي يا خالد، أنت جواك صراع ممكن تكون أنت مش حاسس بيه وما تزعلش مني في الكلام دة، أنت فاكر إن عشان ما فيش تغيير في حياتك فأنت مستقر، بس دة عشان أنت بتضحك على نفسك، أنت قدامك إنك تصلي وتلتزم وتراعي ربنا في كل حاجة وتبقى عم الشيخ هو دة الصح، وبتحتقر الفساد والمخدرات على أساس إن دة الغلط، لكن أنت المؤشر بتاعك رايح جاي ما بين الاتنين، أنت بتحتقر الفساد وأنت ما جربتوش وبالنسبة لك علامة استفهام، كان ممكن أقول لك إنك مقتنع إنه غلط أيام ما كنت أنت صغير وبتسمع اللي بيتقال لك وبتعمله لأنك ما بتفكرش، بس وأنت كبير دلوقتي وواضح إن الكلام دة ما أقنعكش إنك تكون الشخص الصالح اللي أنت عايزه، وإن جواك عارف إن الفساد مش حيدمرك بدليل إنك اقتنعت بجزء من كلامي وشربت لأول مرة في حياتك سيجارة ودة معناه إن ما كانش صعب تكسر المبدأ اللي إتباعك له طول عمرك كان ظاهري، وكل ما هو ظاهري سهل تغييره"

أنظر إليه محاولاً تجميع الكلام في عقلي وربطه فيقاطع أفكاري

" أنا مش عايزك تدمن خطيئة ومش فارقة للدنيا واحد فاسد زيادة، أنا عايزك تجرب الناحية التانية عشان يبقي قدامك الصورة واضحة، الصالح بجد والفاسد بجد عشان تقدر تستقر وتشوف أنت عايز إيه، فكل حاجة حنعملها هي بالنسبة لك غلط وفساد وحرام وزفت، حتبقي pulse للسيستم بتاعك، وأعتقد إنك مع التجربة وتغيير اللي جواك حتستقر "

أرد بحذر ..

" أيوة يا عماد، بس افرض إني استقريت على الفساد، ولقيت نفسي فيه، ما هو عشان كدة إحنا المفروض ما نجربش حاجة غلط لأن النفس أمّارة بالسوء وممكن تعجبك وتتقلب إدمان، دي مخاطرة"

يقاطعني بهدوئه المعتاد ..

" منطقي لما تكون لسه صغير أو مراهق، وأنت مش عارف أنت مُقبل على إيه، أكيد الكلام دة مرفوض لأي عيل صغير، بس أنت كبير وفاهم اللي بتعمله، أغلب اللي بيشربوا سجاير ومخدرات أو أي نوع من أنواع الفساد، بيبتدوا دة وهما صغيرين، قبل ما يكونوا واعيين فعلاً للتوابع، أنت شوفت الدنيا كلها وعشت مع الناس اللي عملت الغلط وعارف هما كان مصيرهم إيه، وأنا لما بكلمك أنت عشان عارف كويس أنت قد إيه ذكي وحتفهم"

يصمت للحظة ثم يرفع سبابته محذرًا

" الطمع في الشهوة، الطمع في الشهوة "

اسكت قليلاً، وهو أيضًا

من داخلي مقتنع ولكن هناك شيء في صدري، شيء بداخلي قلق، ولكن ماذا سأخسر، لا شيء، أتوب بعدها وأنسى وأعود إلى السيستم الروتيني اليومي القوي الذي أنشأته في حياتي، وتبقى لي ذكرى

" طيب يا عم المعلم رشدان، إيه الخطوة الجاية "

" أنت محوش فلوس ؟"

نظرة دهشة مني للحظة وأنظر له ثم إلى الشارع ثم له مرة أخرى، فيعيد السؤال

" أنت حتجنن ولا إيه، أنت معاك فلوس محوشها ؟ مبلغ كويس يعني ؟"

" هي أول تجربة حتكون الربا ولا إيه "

" ممكن ترد ؟ "

" آه الحمد لله، أنت عايز حاجة ؟"

" أكيد، أنت اللي حتصرف على نفسك والفساد مش رخيص، أعتقد أنت فاهم إني مش محتاج فلوس، بس عشان تشيل على قدك، ولو حبيت تطمع، تبقي عارف أولك وآخرك، اللي حنعمله حيبقى نظام إنجليزي"

" ماشي يا عم فهمتك "

بدأ الصباح في الإشراق فنظرتُ إلى السماء للحظة ... سامحني يا الله

" الخطوة الجاية "

يشاور إلى السيارة فنمشي تجاهها

" صديق سعودي كان معايا برة جاي الأسبوع الجاي "

" أنت مش كنت في البحرين "

" الكويت يا خالد"

" آه آسف .. وبعدين"

" أكيد حيجي عايز ينبسط وهو كان عامل معايا واجب كويس، فنروح ننبسط معاه "

" مش مطمن لكلمة حننبسط دي "

يفتح باب السيارة ونركب كلانا

" شيل على قدك يا خالد "

" ماشي يا عم "

" المهم ممكن يبقي في حفلة ولا حاجة، ابقى شوف طقم نضيف بتاع شاب وأنت جاي، متجيش بلبس الشغل، ولا ترينج التوحيد والنوم اللي أنت لابسه دة"

" دا ترننج من چيل "

" يعني دة سروال مش بنطلون ترينج كمان "

ويتمتم

" بلاش فضايح "

" ماشي يا عم عماد"

يقود في سرعة، كم هي جميلة المدينة وهي نائمة، والشوارع والأزقة وأي شيء نصل إلى نقطة اللقاء، هذه المرة أنزل من السيارة وأنظر له

" مستني تليفونك "

ينظر إليّ مبتسمًا

"الأسبوع الجاي يا خالود "

" سلام "

" سلام "

أبدأ في المشي، تلك المرة لا أفكر في الإتجاه المضاد، ماذا سيحدث، لا شيء، سوف أجرب وأنا أعلم أن كل شيء تحت السيطرة، أدخر نقودًا سوف تُصرف يومًا ما على زواج لا اختيار لي فيه، فلماذا لا أجرب شيء جديد لن يجعلني أخسر كل شيء ولكني قد أكتسب التجربة، العالم كله إما تغير وإما ينادي بالتغيير، وأنا أقف وحيدًا أشاهد الجميع من بعيد ...

أشعر بالحماس

ولكن ! ... للفساد؟!

هل هذا منطقي ؟

يبدو أن الأمر كما قال عماد

هناك صراع داخلي دائمًا كنت أخبئه خلف تهكمي الدائم وسخريتي على كل ما هو حولي من حق أو باطل، ولكنه كان ساكنًا حتى أثاره هو

أكتفيت بمشاهدة الصالح والطالح بدون أن آخذ دور أحدهم

أفعل كغيري، أعيش في الروتين الذي يدخله الملايين دون أن يحركوا حجرًا واحدًا من مكانه

تركنا كل مقدس كما هو بدون أن نسأل من جعله مُقدس

لم نهتدي إلى الإسلام، بل استسلمنا إلى دين آبائنا كما فعل الأولون

أنا لن أتغير لحبي في الفساد، أو كحجة لعمل معصية

بل أتغير لكي ألمس الذنب الحقيقي، لعلي أطلب غفران اليقين

لعلي أجد مرادي فيما يقوله عماد

نعم هناك شيء ما في صدري يخيفني منه

ولكن منطقه ضرب بمطرقة على وتر الشك

فليكن ما يكون

سأتبع تجربته

لعله من سيأتي بإجابة

لعله سيكون من ينقذني من خطواتي إلى الموت الروتينية البطيئة

لعله ...

رسول الخطيئة

الفصل الثامن

عماد الدين

رســـــــــالة

حبيبتـــــي...

كل قصص الحب تنتهي
عدا قصتنا
إن كان لكلمة حب نهاية
لو كان للقدر أن يفرقنا
فهو لن يفرق ما في نفسَيْنا
لا تهدأ نبضات قلب في الغرام
إلا حين يتوقف
كل النهايات سعيدة معك
ولكني سأعطيك النهاية التي تُرضيكي
فانتظريني .....

****

" السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله "
استيقظ علي صوت المسجد من بعيد
لقد فاتتني صلاة الجمعة،
لم أكن أظن إنني سأبدأ في الفساد بهذه السرعة، السجدة الوحيدة الأسبوعية حرمت منها، لعلها علامة بخطأ القرار، ولعلها لا شيء ...

أسأل نفسي وأنا ممد على الفراش سارحًا في سقف الغرفة وكأنه ليس موجود، وكأنه الفضاء السرمدي، لماذا لا أصلي وأنا أفعل الذنب؟

ماذا يمنع أن أكون عبدًا مطيعًا وعاصيًا في آن واحد ؟، لماذا لا ألتزم وأذنب وأدعو الله بالهداية ؟

يأتي الرد من الفضاء السرمدي

أليس كل الناس تصلي وتذنب ؟

وهل جردت الإيمان من كل عوامله وأبقيت الصلاة

" الصلاة عماد الدين من هدمها هدم الدين "

وكثير من الآيات تحدثت عن عذاب تارك الصلاة

وكثير من الشيوخ تحدثوا عن كفر تارك الصلاة وخروجه من الدين

ومن يصلي ويذنب قد يغفر له الله

ومن لا يصلي وهو عفيف عن الذنب في النار وبئس المصير

ولكن!

أليس كل شيء بأمر الله

أليس هو علاّم الغيوب

ألن يرحم نفسًا بكت من عدم قدرتها على هزيمة ذنوبها وإتباها لهوى النفس ؟

أتكون النار الأبدية عقاب لمن وُلد في رحم الخطيئة وخرج بلا هادي ولا دليل ؟

هل تهزم الشياطين العقل ؟ وتستعبد الخطيئة النفس ؟ ويقف في طريقها الأقدار ثم لا يرحمها الله ؟

أليس هو أعلم بما تحويه النفوس

كل هذا الجدل وكل تلك الأسئلة والأجوبة تنتهي دائمًا بكلمة واحدة

الله أعلم

وحقًا ... الله أعلم

أقف بصعوبة .. من عواقب أن تنام طويلاً أنك تستيقظ على نوم

أمشي خارجًا من الغرفة، لألمح أمي تقف في المطبخ

" مش تصحيني يا ست أنتِ ؟ ينفع كدة تفوتني الصلاة ؟"

" قعدت أنادي عليك، أنادي عليك ولا أنت هنا "

" وأنتِ كنتِ بتنادي من تحت البيت ولا إيه "

يقاطعنا صوت يأتي من السفرة

" صباحية مباركة "

أقف للحظة لاستجمع نبرة الصوت داخل عقلي

" أنتِ إيه اللي مسَيّبك بيتك وجاية هنا يا بت "

أسمع صوت خطواتها متجهة نحوي، بينما أدخل الحمام لأتأمل نفسي في المرأة، تقف على باب الحمام لتخاطبني بلهجة ما بين الحدة وأول السب بالألفاظ الخارجة تغمرها نوع من السخرية

" ما أنت لو بتسأل يا بابا، تعرف إن وحيد سافر الصين وحيقعد هناك بتاع شهر ويمكن أكتر"

أضرب على جبهتي بكفي

" اخخ"

فتستكمل بعتاب

" بلاش تسأل عليّا اسأل على الراجل، روح معاه المطار هو والحاج"

" والنعمة نسيت خالص"

وأنظر لها مستطردًا ..

" وهو سأل عليَّا ؟"

" طبعًا، وقلتله أكلمك تروح توصله، ما رضيش وقال لي حتتعبيه ليه ما في ناس حتوصلنا لحد هناك، أصله عارفك"

" دة تلاقي أمة محمد كانت معاه. دة مسافر مع الجد فاذر "

" هو دة اللي بناخده منك، هزار وبس"

أنظر إليها وأحاول رسم نظرة النادم

" طب سيبك، أنتِ زعلانة مني يا سوسو يا حياة قلبي "

" بكاش، بكاش ومنافق "

أضحك وأنظر في المرأة

"اضحك اضحك .. ما الهبل دة في دمك "

" ماشي، بس أهم حاجة إنك مش زعلانة "

" مش زعلانة يا سيدي"

أفتح الصنبور، ثم أغلقه مرة أخرى، بينما هي تدير ظهرها وتتجه للصالة

" طب بقولك "

تلتف إليَّ

" إيه تاني ؟ "

" طب مدام جوزك مسافر خليني أعمل معاكِ واجب وآخدك أفسحك واضبطك "

" يا عم ولا تاخدني ولا آخدك "

" يا بت يا سامية اسمعي الكلام، مصلحة لكِ وليَّا "

" ودي مصلحة لك في إيه "

" أصل الحته كلها شايفاني رايح جاي بطولي، وما اتجوزتش لحد دلوقتي، وأمك بتقول لي أنت مش راجل وللا في حاجة أنا مش عارفاها، فا خُدي في أخوكي ثواب وابعديه عن المشي البطَّال "

ترد ضاحكة وهي تضع يدها على فمها

" وأمك قالت لك كدة ليه ؟"

" ما أعرفش تلاقي حد من ولاد الحرام حب يسوء سمعتي اللي زي البرلنت، فقالها أنا شوفت بيبوس صابر المكوجي في بوقه "

تضحك بصوت عالي وتنظر إليّ وهي تشير سبابتها تجاهي

" تلاقي عشان موضوع العرايس والجواز اللي أنت رافضه "

" أصل أنا مش شايف نفسي في الجواز يا سوسو عندي طموحات تانية"

" طموحات تانية إيه إن شاء الله حتعمل إيه ؟"

" ألعب باليه "

نضحك ضحكة بسيطة فاستطرد

" الشاي بقي يا سوسو "

" ماشي "

وتمشي خطوتين وتنظر إليّ بنصف وجه

" عقبال ما أعمل شربات جوازك على صابر يا..... "

" أنا فاهم أنتِ بتلمحي لإيه بس حعمل إني ما كنتش يوميها في البيت "

أغسل وجهي واستكمل كل ما أريده من زيارتي للحمام، ثم ألتفت إلى الغرفة مرة أخرى لآتي بهاتفي، الذي من المتوقع ألاّ يطلبني أحد ليه اليوم، وأتجه إلى الأريكة أمام التلفاز، مسرحية قديمة لأمين الهنيدي، وأنا أعشق أمين الهنيدي، أتابعها بينما أفرد قدمي على الأريكة، أقل من خمس دقائق لأجد سامية تدخل بصينية الشاي، وبها طبق من الكعك الإنجليزي، هي تعرف كم أحب هذا الاختراع، وبالتأكيد هي من أتت به، فأمي ستفضل أن تأتي بكيلو بلح الشام، حيث أن هناك أسطورة مصرية تقول : إذا لم تكن الحلوى " تخر" ((أي ينسكب منها)) سكر وشربات وسمنة مثل أي حلوى شرقية؛ فهي ليست حلوى ويمكن استخدامها في " تغميس" الملوخية

ابتسم لها وأنا أمد يدي لأرفع من يدها الصينية

" باشا، والنبي أنتِ باشا، أنا ما خلفتش غيرك "

" دا وحيد باعتها لك "

أنظر لها باسمًا وأقلدها في طريقة الكلام

" وحيد اللي أنت ما روحتش توصله المطار، طب بذمتك هو يعرف إني بحب الكيكة دي ؟"

واستطرد..

" هو يعرف إن الكيكة دي موجودة أصلاً ؟"

ترفع حاجبها

" ولا، لم نفسك "

" ماشي يا باشا، أنت تؤمر أمر، هو مش وحيد ليه أصول أسكتلندية ؟"

" حشتمك يا خالد "

" فداكي يا روحي "

وتجلس، بينما نشرب الشاي ونأكل الكعك ونشاهد المسرحية التي كانت في فصلها الأخير، بعض الوقت لتنتهي المسرحية وتغير هي القناة لقناة طبخ بها شيف شهير جدًا ضخم الجثة، يمتلك شارب ضخم الجثة، وأيضًا منظار طبي ضخم الجثة، كل شيء في هذا البرنامج ضخم الجثة، برنامج " over"ولكنه محبوب، ولكن أكيد ليس بالنسبة لي..

" أنتِ حتشوفي عمو الفظيع دة ؟"

" لا أنا ما بحبهوش، بس أمك بتحبه "

" طب اطفي يا ماما بلاش عفرته"

" وحنقعد نتفرج على بعض"

" لا، عايز أقعد معاكِ في البلكونة زي زمان "

" وحتحكيلي قصة حبك مع صابر المكوجي "

" لو روحنا دلوقتي ححكيها لك بالمشاهد الأبيحة اللي فيها "

" لا أنا كده أروح أجيب فشار وبعدين أنط بيه من البلكونة "

" هايل وأنا وصابر حنستناكي تحت في الشارع "

ترفع حاجبها بابتسامة عصبية

" بس بقي "

" طيب يلا "

" طب روح أنت، وأنا حخش الحمام وأحصلك "

" حتعملي إيه "

" ما أعرفش"

" طيب مستنيكي "

أدخل إلى الشرفة، أنفض التراب عن الكراسي والمنضدة بفانلة داخلية قديمة لي كانت معلقة بجانب ربطة الثوم المعلقة فوق رفوف بلاستيكية تحمل بعضها بصل و أخرى بطاطس كل هذا في شرفة مساحتها لا تتعدى المتر ونصف طولاً في متر عرضًا بها ثلاثة كراسي ومنضدة وكل شيء مُعشق في قلب الآخر راسمًا صورة كلاسيكية للبلكونة المصرية الفريدة من نوعها التي تعتبر لأغلب الشعب مخزن ووسيلة للنقل الخفيف " نزل السَبت، طلع السَبت " وخروجة وقهوة وفي بعض الأحيان مصيف، وهي مصدر للتراب والذباب وصوت الأنابيب وسب الدين ولعن الدولة وتنقيط غسيل الجيران والإيبولا والسرس وخاصة "السيمونيلا" تلك الميكروبات التي تروّج شركات المنظفات أن منتجاتها تتخلص منها نهائيًا، بينما هم لا يعرفون أن المصريين يضعون منه ملعقة على الشاي من أجل المتعة.

أجلس على كرسي، وأضع قدمي على الآخر منتظرًا سامية، منذ وقت بعيد لم نجلس معًا، قد يكون منذ أن تزوجت، وسامية تختلف عن وحيد أنها مثقفة ومتعلمة أكثر منه

ولكنهما يشتركان في الطيبة، وهي تشترك معي في خفة الظل، لا أعرف لماذا لم ينجبا حتى الآن، ولا أشغل نفسي بأن أتدخل في شيء قد يعكر صفو جلستها النادرة معي..

أيضًا هي تمتلك عقل جيد، يمكن أن يعطني بعض الأجوبة، أو أسئلة جديدة مبهمة تأتي وتجلس بجانبي

" حمدلله على السلامة "

" الله يسلمك "

" عاملة إيه في حياتك "

تنظر إلي بابتسامة خفيفة

" الحمد لله كويسة "

" ومالك مبسوطة كدة "

" أصلي مستغربة أنك بتسأل يعني، ما جربتش تعملها في الموبايل مرة ؟"

" الدنيا تلاهي وملاهي "

استطرد..

" وحيد عامل معاكي إيه"

" طيب وابن حلال، الحمد لله مبسوطين "

ترمقني بنظرة غريبة

" والعيب مش مني ولا منه لو حتسأل على الخلفة "

استوقفها رافع حاجبي

" لا ما كنش دة طبعًا حيبقي سؤالي التاني "

وأتمتم

" يمكن كان يكون الرابع أو الخامس "

فتضحك ضحكة بسيطة وعذبة، جميلة هي سامية وازدادت جمالا كلما كبرت، وبالطبع لم أكن ألحظ هذا أبدًا

" يعني يا سامية مش حاسة بالملل من الجواز، ما فكرتيش تشتغلي"

" لا خالص، الصبح في البيت وبعدين بنروح لأهل وحيد، وأنت عارف هو طيب وحنين، وأنا اتعودت على الوضع دة إلى أن يشاء الله وأخلف أو نشوف إيه المكتوب لنا "

" ربنا يكرمك يا بنتي "

تلتفت إليّ وتنظر نظرة ثاقبة

" وأنت يا عبده الروتين "

" أنا مالي، أنا زي الفل "

" أيوة إمتي حياتك تتغير ؟"

" قريب، بفكر أتعلم تنس "

" لا أنا برشح لك الجولف يا خالد أكتر "

" أنا بقول إنه قريب لشخصيتي لأني بحب اللاند سكيب الواسعة، بيقولوا حيفتحوا ملعب في الوايلي قريب حروح أبص عليه "

" ظرافة "

" مولاتي!!! "

" ايه.... اللي ... حتعمله.... جديد... في حياتك "

أسرح قليلاً

" ما أعرفش، بس موضوع الجواز دة بعيد عن تفكيري شوية، بفكر أشتري عربية"

" عشان تركنها تحت البيت وتنزل تقعد فيها وتطلع تاني، دة على أساس إن في مكان لعجلة تركن تحت أساسًا"

" والله تبقي خطوة إيجابية والسلام "

وأنظر لها متسائلاً

" طب أنا عايز أسألك يا سيمو "

" في إيه "

" أنتِ ساعات بتفكري كويس و .....

" أخلص يا عم أنت حتغني لتامر"

" ماشي"

أنظر إليها وأنزل قدمي من على الكرسي وأضعها قدم على قدم

" أنتِ شايفاني إزاي "

وأسكت فتنظر إليَّ في محاولة لفهم المغزى، فأوضح

" يعني أنتِ شايفة حياتي وشخصيتي من وجهة نظرك، كانت إزاي ورايحة لفين "

تنظر لحظة وتسكت

" أنت عايز الصراحة يا خالد "

" ومش عايز حاجة تانية غيرها "

تصمت لدقيقة، وتنظر إليّ بنظرة أشعر أنها يشوبها شيء من الحسرة،

" بص يا خالد، أنت طيب وكويس، بس حكمك على كل حاجة في الغالب غلط، بتشوف الدنيا بعيون الناس، وعاشق للرتابة والتقاليد، ساعات بحس أنك بتشر بيروقراطية "

تسكت لحظة ثم تستطرد ..

" بس أرجع وأقول ماما هي السبب، لما مات بابا خافت علينا قوي، فشيلتنا معاها حاجات ما كانتش بتاعتنا وخافت من الناس زيادة، فحبستنا في البيت أكتر"

نظرت إليّ نظرة حاسمة

" خالد، أنت ليك أصحاب من وأنت صغير؟ "

أتنهد تنهيدة قصيرة

" ولا وأنا كبير "

" وأنا برضو كان ليا أصحاب من اللي بكلمهم من فترة للتانية"

تقف ثانية وتستكمل

" أنا أيام المدرسة كان ليّا أصحاب كتير، بس من غير ماما ما تعرف، على عكسك، أنت كنت دايمًا بتسمع الكلام، وتقلل علاقتك بالناس"

تنظر أمامها

" خوف ماما ضيع علينا فرص كتير"

ثم تنظر إليّ نظرة أمل مفعمة بالحنان

" بس أنت لسة قدامك الفرصة لسة ممكن تنزل أكتر وتكون إيجابي وتعمل أصحاب، ما أنتاش عندك 150 سنة مثلاً "

كلمة جميلة، سأعطيها المفاجأة وأحدثها عن صديقي الجديد " الصايع ابن الصِيّع "

" أنا بحاول يا سامية، والحمد لله ربنا بيوقف ولاد الحلال في طريق الواحد "

ولاد الحلال !! " يا رب ما تنطش من البلكونة أو تكون نسيت فالنتينو المدرسة دة "

تنظر إليَّ وتبتسم..

" ما تقوليش، بقيت تخرج وليك أصحاب وصاحبات ‘‘

" مش قوي كدة أصحاب بس في البداية"

" حد غير صابر المكوجي "

أرد بابتسامة عصبية

" أبو أهله، لا مش صابر المكوجي ولا منعم بتاع الفول "

تبتسم ابتسامة خفيفة أعلم أنها سوف تطير بعد أقل من دقيقة

" أُمال لقيتهم فين دول ؟"

" صديق قديم من أيام الدراسة"

" من المدرسة ؟"

أجيبها كالأهبل

" آه كان معايا "

" اسمه إيه ؟"

" عماد "

" مين ؟"

" بدوي "

****

هل رأيت يومًا ما فيلم " the ring" تلك الفتاة المبلولة التي تجيد موهبة القفز من التلفاز، كانت دائمًا تخرج من التلفاز وتنزل إلى الضحية، ثم يقطعون المشهد، لم أعرف تلك اللحظة ماذا كانت تفعل بالضحية، هل تزحف ناحية الضحية ثم تضع إصبعها في فتحة أنفه ثم تخرجها لتضعها مرة أخرى في فمه لتموت الضحية من " القرف " مثلاً

لا أعرف والله أعلم أين كانت تضع إصبعها ولكن الأكيد إنه كان شيء مؤلم ومخيف للنفس البشرية، المهم أن الشرطة تأتي اليوم الذي يلي يوم وفاة الضحية لتجدها شاحبة عيناها قد خرجت جزئيا من مكانها وفمها فاغرًا مفتوحًا لآخر الفك ولسان الضحية ساقط من الفم حتى صرة بطنه،

هذا ما كان شكل سامية بعد سماعها لاسم العرَّاف المقدس

وسعت حدقة عينها وفتحت فمها لآخره لدرجة إنني رأيت أعضاء داخلها لم أرها من قبل، لكن إحداها يشبه المثانة التي كنا قد درسناها في الأحياء

" عماد مين ؟"

" أنتِ حتتشلي ؟ أجيب لك كركاديه ؟"

تعلي صوتها

" مين ؟"

" وطي صوتك... ماما تسمعنا "

" أوطي صوتي، دة أنا حقتلك، يعني يوم ما تحب تصاحب، تصاحب راعي الفساد في شارع باب البحر"

" لا هو اتغير شوية، ربنا كرمه واهو داخل على باب الشعرية "

" أنت بتهزر يا خالد ؟ أنت مش فاهم أنت بتعمل إيه ؟"

" لا يا ساميه فاهم وواعي"

تأخذ نفس عميق

" شربت مخدرات ولا لسة ؟ "

" سامية، بلاش شغل ماما دة "

تسكت قليلاً فاستطرد

" لسه حشرب الأسبوع الجاي "

تقف من على الكرسي فأقف بدوري وأجبرها على الجلوس

" أقعدي وبلاش جنان، وما تندمنيش إني قولت لك "

تبعد يدي عنها

" وأنت اللي بتعمله دا مش جنان، آخرتها تمشي مع واحد زي دة "

أتركها وأقف لحظة

" ممكن تهدي؟"

تجلس وتنظر الناحية الأخرى بعصبية

" سامية، أنا كبير وأنتِ عارفة أنا عاقل، وعارف بعمل إيه"

" وأنت لو عارف كنت عملت كدة ؟"

" طب اصبري"

" ها "

" أنتِ عارفة، أنا مش بتاع الهجص دة والقعدات بتاعته، بس كنوع من التغيير، مفيهاش حاجة أنا حجرب أروح معاه وأصاحبه، بس مش معناه إني حعمل حاجة مجنونة تبوظ صورتي قدام نفسي أو قدام الناس"

بدا عليها شيء من الاقتناع ليس له أي أساس من داخلي

" وبعدين ؟"

" شوية الموضوع حيبوخ، وهو يرجع عمان اللي كان فيها وخلاص "

" هو مش كان في الكويت "

" والنعمة ما بقيت عارف هو كان جاي من أي داهية "

تنظر إليّ نظرة انعدام ثقة

"ماشي يا خالد، اللي تشوفه، بس خلي بالك، ولو حاجة حصلت حتقولي"

" ما أنت يا باشا مشرفنا الفترة الجاية، أي حاجة تحت مسئوليتك "

تتنهد وتسرح قليلاً

" أنا عازمك النهاردة على الغدا"

تنظر إليّ بطرف عينها

" كل بعقلي حلاوة"

" مدام بتحبيها وماله "

أنظر لها وابتسم ابتسامة بلهاء

" ها أجيب لك إيه ؟"

ترد مستسلمة

" اسأل ماما وهات اللي تجيبه "

" ماشي يا ستي، اللي تشوفيه "

أترك البلكونة متسائلاً

هل تسرعت بإخبار سامية،

أنا أعلم أنها ذكية واثق بها، ولن تقول شيء لأمي، على العكس قد تساعد في تغطية
أي دلائل على أن هناك شيء قد يحدث
وأيضًا كما أنا أحتاج إلى من يوجهني إلي الشر أحتاج أيضًا من يقوّمني ويأخذ بيدي
حال قررت إنني لن أستطيع استكمال رحلتي مع عماد
وجود سامية جاء في موعده
وكأنها رسالة لكي أستكمل طريقي إلى المجهول
ففي النهاية كل الطرق تؤدي إلى المجهول
لذا ... فلتختَر طريقًا جديدًا كل مرة تذهب فيها إليه

الفصل التاسع

الحرام والحرام

رســـــــالة

حبيبتـــــي

أكتب إليكِ مرة أخرى
لأنني لم أجد منك إجابة
لماذا توقفتِ عن الكتابة؟
لماذا يا حبيبتي ؟
لماذا ؟

****

أيام تمر
ولم يتصل بي
لا أعرف لماذا لم أكن قلق، فبأي حال من الأحوال الشيء الوحيد الذي لا تحتاج البحث عنه في الحياة هو الشر، هو الذي يبحث عنك
اذهب إلى العمل وتسير الحياة بصورة طبيعية..
إلا من نظرة عدم ارتياح في عين سامية، الخوف من المجهول.
وأظن أنها نفس نظرة الخوف في عيني، لا أعرف إذا كنت سأستطيع لحظة المواجهة الصمود، وماذا إذا لم أشعر بشيء وكان ذنب " ببلاش " ؟!
الأمر بالنسبة إليّ أشبه بجزيرتين يفصلهما نهر، وعماد هو سائق القارب الصغير الذي يربط ما بين الجزيرتين، عماد يظهر فجأة على شاطئي، و يحكي لي عن جمال الجزيرة الأخرى التي يعيش بها أغلب وقته، و يدعوني للعيش بها، وأنا في حيرة،

ويتردد على جزيرتي كثيرًا و يعدني كثيرًا بالسعادة، وفي لحظة يختلط بها الملل وحب الاستكشاف سأركب بها المركب ليأخذني إلى الجزيرة الأخرى، لأري إذا ما كانت السعادة هناك أم لا، الكارثة هنا، إنني إذا أردت العودة، سيكون عليّ العودة وحيدًا، ولا أحد يعلم كم من الوقت سأحتاج الجلوس على الشاطئ حتى أجد قاربًا آخر، وهل إذا قررت العودة سباحةً، هل سأصل أم سأغرق في المنتصف؟ إنه رهان اليأس على الأمل في الأفق، ولكنني سأخوضه، يجب عليّ يومًا ما أن أتحرك وكفاني وقتًا ضائعًا أذهب إلى العمل كالعادة كل يوم، لم أقطع أي عادة لي

حتى جاء الأربعاء، الساعة الثانية والنصف ظهرًا

الهاتف يرن، عماد

" أيواا "

" أيوا أنت يا عم، يعني أنا ما أتصلش أنت ما تتصلش يا أبو خالد ؟"

للأمانة أشعر بقدر ليس بضئيل من النفاق وأنا أتعامل معه كأنه كان صديق عميق

" أنا قلت لك مستني تليفونك، أنت قلت لي كلمني وأنا رفضت؟؟؟ "

" سلبية، ما تعرفش تاخد المبادرة "

" ودي آخدها فين دي ؟"

" أنا لما أشوفك حديهالك، إيه نظامك"

" أنا موجود، سيادتك "

" يبقي النهاردة سبعة ونص في نفس المكان "

" حنروح فين يا عم أتوبيس المفاجآت "

" حننبسط "

" يبقي أكيد ملاهي أدهم "

" آه هي"

" صاحبك القطري جه ؟"

" سعودي يا مرح، وحنروح عنده أو عندي ما أعرفش، ما لكش فيه، سبعة ونص، وما تلبسش ترينّج التوحيد والنوم"

" عيب عليك، دة أنا ضبطت طقم حيبهرك "

" من محل اسمه الشيخ والسبحة بقى ولا إيه"

" عيب عليك، اسمه الزبيبة والسجادة "

" هما ليه دايمًا حاجة وحاجة ؟"

" عشان الكثرة تغلب الشجاعة "

يرد بصوت عصبي

" بالليل"

"سلام"

بيب، يغلق الخط

أمشي إلى مصطفي زميلي في الحسابات

" طيفا، أنا بكرة مش حقدر آجي"

" ليه يا باشا ؟ في حاجة"

" لا حودي أمي كام مشوار في الحكومة كدة"

" ليه الحاجة طالعة الحج "

" لا بس ادعيها ربنا يوفقها "

" آمين يا رب "

استكمل عملي حتى ينتهي، أعود إلي المنزل، غذاء وأجلس قليلاً، ثم أبدأ في البحث عن " أنضف طقم عندي" وكان سهلاً جدًا عليّ نظرًا لعدم وجود اختيار الكثرة أو التنوع، أضع كولونيا

تدخل سامية إلى الغرفة عليّ

" أنت برضو حتعمل اللي في دماغك "

" ما تقلقيش، ما فيش حاجة حتحصل أنا مش عيل "

ألتفت إليها

" ما تيجي معايا "

ترد بسخرية بها شيء من عصبية

" وماله، عندك بدلة رقص كويسة "

" حتلاقيها في الغسيل، كنت لسة لابسها إمبارح "

" لصابر المكوجي"

" أبو أهله "

أمشط شعري وأنظر إلى نفسي في المرآة، ثم أنظر لها

" شكلي ابن ناس ؟"

" شغال، رغم إن الشكل ابن الناس اللي من برة ما يغيرش ابن الكلب اللي جوة "

أضحك وأذهب ناحيتها وأقبل رأسها

" wish me luck"

" ربنا يهديك "

أتركها وأذهب إلى الباب

" قولي لماما إني رايح أسهر في الشغل "

" حاضر "

أعرف إنها بالطبع ستحاول إلهاء أمي ولن تجعلها تشك في أي شيء، هذه أفضلية وجود سامية الأساسية، كم هي جميلة الآن

أذهب إلى نفس المكان، لا أجده تلك المرة، أنتظر خمس دقائق ويظهر، أركب السيارة ويتحرك في عجلة

" إيه رأيك في الشياكة ؟"

" شغال، مش فضيحة على الأقل "

" لا لو حتتريق، نزلني "

" لا يا عم خليك"

" أيوة كدة خليك حليوة "

تمر السيارات بجانبنا ونقف في الزحام، اليوم الأربعاء، لماذا الزحام لا أعرف، أنظر له وأفتح حوار للتسلية

" عم الشيخ كان عندي سؤال "

" قول يا ولدي "

" ألاقي ناس كتير بتقول إنها بعد ما جربت الحرام لقيت الحلال أحلى كتير، أنت إيه رأي فضيلتك"

" دة في الفلوس يعني ولا إيه ؟"

" لا فلوس مين يا حاج، في النسوان والجواز والخمرة والمخدرات والتبطيل ‘‘

يضحك ضحكة خفيفة

" بص يا ابني، الفرق بين الحرام والحلال هو القلب، يعني أي حد بيعمل غلط بيبقي خايف وعارف إنه بيعمل حاجة مش سليمة، فما بيبقاش مطمن، بيعملها وهو خايف يعني، قلبه ودماغه ما بيبقوش صافيين، لكن الواقع عكس كدة طبعًا، الحرام ألذ " يسكت وهو يركز في تقاطع الطريق، وعندما يمر منه يستطرد..

" الخمرة والمخدرات وأي حاجة بتغيب العقل، أكيد ضررها كبير، بس متعة، وحاجة مطلوبة، وبتخليك تفكر بصورة مختلفة تتكلم من قلبك على طول، ما فيش عقل شغال عشان يفلتر الكلام، فبتبقي أكيد إحساس جميل وعذب كدة وبقلاوة ‘‘

نضحك كلانا فيخرج سيجارة، ويعطيني واحدة وبعد أن نشعل السيجارتين ينظر إليّ ويستكمل

" اللي يقولك في الحريم الحلال أحسن من الحرام وهو جرب الاتنين، قولو أنت ابن و..... وش، و اديله علي وش أمه، أنت لما تتجوز الحلال دة زي الواجب، و صعب

إنك تتكلم فيه وصعب إنك تطور العلاقة، و المصريات بيقفشوا و يقلك لا احنا مش أجانب وإحنا مش في فيلم سكس و ترضى جوز أختك يعمل في أختك كدة وأنا بقرف وجو حمضان، لكن الحرام بيبقي شقلبة ولا حد فارق معاه حاجة، واحدة عارفة إزاي تبسطك وعارفة اللي يجيب الراجل على ركبه، لكن الحلال عقبال ما تبتدي تكتشفه وهي تفهم وتتعود وتحاول تقنعها تكون دخلت في الأربعين و العجز الجنسي يدق على الأبواب، لا طبعا واحدة بطاله حتبسطك، الحلال يبقي عسل لو اتجوزت واحدة بطالة مثلاً "

اضحك حتى يحمر وجهي

" والله يا ابني، دا شعب معقد "

" بس مش كلهم كدة يا عم"

" أكيد لكل قاعدة شواذ، بس منين عايزها بنت ناس ومغمضة وما باستش حد قبل كدة ولا تعرف ولاد، وعايزها ليلة الدخلة تلاقيها بتتزحلق من على عمود الاستربتيز اللي أنت حاطه في أوضة النوم، لا اللي عارف يطلب بيطلب صح ولا اللي بيعمل الخدمة فاهم حاجة، عايزها ما تعرفش ولاد وتروقك، اتجوز واحدة ليزبيان، شعب ابن ..... أهبل "

استكمل الضحك وأكح ثم أرمي السيجارة من الشباك،

" إحنا رايحين فين؟"

"التجمع الخامس "

" وليه بعيد فحت كدة "

" معلش بقي، الحفلة هناك "

" حفلة ؟ عند الأمير الثري السعودي "

" آه هو عنده فيلا، قريبة من البيت عندي، وفي ناس أصحابنا وناس أصحابه وجو ظريف هناك، بيعمل حفلة لما ينزل مصر، وواحدة تانية وهو مسافر، بيجي يهيص هنا "

" هايل"

" أنت جيت التجمع أو التسعين قبل كدة يا خالد ؟"

" أكيد، لينا فرع هنا جيت جردت فيه كذا مرة "

" طيب كويس مش حتتوه يعني "

" عيب الكلمة دي يا عم "

بعد فترة يظهر التجمع الخامس، شارع التسعين، وبعد دقيقة يرفع يده اليمني

" شايف البيت اللي هناك دة ؟ فيلتنا في ضهره "

" دة أنت قريب جدًا من التسعين"

" آه أبويا اشتراها زمان ، دلوقتي تساوي ثروة "

" آه أكيد ماشاء الله "

خمس دقائق من القيادة، ينعطف يمين ثم يسار ثم يسار ثم يمين، أتوه فلا أتابع المسار، في النهاية لا أعتقد أنه سيقول لي " ارجع لوحدك يا بابا"

يقف بالسيارة بجانب حديقة تتوسط الفيلات الموجودة في المنطقة وهي أحد سمات التجمع والمدن الجديدة كثرة الحدائق

نخرج من السيارة

أنظر لأجد أمامنا فيلا صغيرة مظلمة لا يدل أي شيء على مظهر الاحتفال، بها أشجار كثيفة على الأسوار، ومن بين الأسوار يمكنك أن تري الحديقة المهملة وبعض المقاعد البلاستيكية القديمة، كل شيء رمادي كالموت ذاته

أرفع عيني إلى الشرفة، لأجد رجل عجوز يرتدي فانلة داخلية وسروال قصير ويمسك بيده شيء لامع، لا يمكنني تحديد ما هو، ينظر إليّ نظرة احتقار ويثبت عينه عليَّ

أين أتيت بي يا عماد ؟

أين؟؟

" خالد، الڤيلا الناحية التانية من الجنينة يا بابا "

" والله طيب يلا بينا مستنين إيه "

نمشي تاركين أبانا المجنون لنمشي على رصيف الحديقة، كاد هذا الأحمق أن يقلب يومي رأسًا على عقب " بشكله بفانلته بلباسه " ولكني الآن أستطيع أن آمل في حفلة أفضل

" عماد، أي تعليمات توجيهات نصائح "

"أغلب الناس كلها ما تعرفش بعض، وما أعتقدش حد بيسأل كتير، بس أنت محاسب في شركة كبيرة وساكن في مدينة نصر وجربت كل حاجة قبل كدة على خفيف ومن فترة "

" وأمي اسمها يوستينا وعندها محل بفاترينة، إيه الهجص دة كله "

" cover"

" ماشي "

أبدأ في سماع صوت موسيقى خفيف يأتي من ڤيلا أكبر من التي كان يقف بها هانيبال ليكتر، مفعمة بالأضواء والحيوية، وأضح أنها حفلة، أشعر بقليل من الحماسة عند الباب يقف فرد أمن وشخص يبدو أنه حارس العقار الأساسي، يقفان عندما يجدانا قادميَن من الحديقة

عماد يتمتم

" كان اسمه إيه، كان اسمه إيه ؟"

يقاطعنا حارس العقار عندما نقترب منه

" أستاذ عماد، يا أهلاً يا باشا "

عماد يرد

" إزيك يا عم رجب "

" الحمد لله، عاش من شافك"

ثم ينظر إلى فرد الأمن

" تبعنا يا راغب "

" اتفضلوا يا باشوات"

ندخل من البوابة لنجد أمامنا بخمس أمتار باب الڤيلا، وعلى يساره مكان انتظار يسع سيارتين على الأكثر، ينعطف عماد إلى اليمين وأتبعه، لندور حول الڤيلا فيظهر لنا الحديقة الخلفية للمكان،

ما لا يزيد عن أربعين شخصًا هم من في الحديقة فقط، الحديقة تمتليء بالأثاث الخارجي والأضواء الخافتة، وبها مسبح صغير في المنتصف، وحوله مختلف أنواع المقاعد من " الكنب والطرابيزات العالية وركن من البين باجز"، النساء أكثر من الرجال، وهذا شيء يجعل أي مكان ألطف، كانوا جميعا شباب من العشرينات إلى الأربعينات من العمر، ولكن جميعهم من الشباب في أزيائهم،

أشعر بالإثارة والسعادة، لأول مرة أكون في مكان مليئ بالحياة والحيوية، ليس كأي مكان، منذ شهر كنت قد أعتبر ذلك المكان قصر الشيطان المحرم، الآن أنا لا أري إلا الحياة، كلام سيدنا عماد له مفعوله

يأتي باتجاهنا شاب من شاربه وذقنه ونعومة شعره تعرف إنه خليجي يبتسم ويتجه إلى عماد

" أبو عمااااد "

" عبده "

سلام حار ثم يلتفت عماد إليّ

" عبد الله أقدملك صديق الطفولة خالد، خالد دا عبد الله، ِشقيقي"

أمد يدي لكي أصافحه

" عبد الله، عماد كلمني عنك كتير "

" يا رب يكون كلام بالخير"

ويضحك وينظر إلى عماد

فأرد مبتسمًا

" لا طبعًا كل خير "

يمسك كتف عماد ويرد مبتسمًا

" بهزر معك، عماد أخويا"

ينظر إلى عماد

" عمدة، في حد هنا عمرك ما تفكر فيه"

" يا راجل"

" عمل لك مفاجأة"

" طيب يلا بينا "

ثم ينظر إليّ عماد

" خالد استناني على البار لحد ما آجي لك"

ينظر إلي عبد الله ويتكلم باهتمام

" البيت بيتك يا معلم، مش محتاجة كلام "

ابتسم له في ود

" أكيد يا عم عبد الله، عيب "

ويأخذ عماد ويتجه إلى داخل القيلا،

بجانب الباب يقع البار، ذهبت إلى هناك، أمشي ببطء وأشاهد الضيوف وخصوصًا الجنس اللطيف، لا أنكر إعجابي الدائم بملابس المرأة المتحررة، تلك الألوان الباهية والتصميمات التي تغطي كل ما يريده الرجل جزئيا، رؤية المرأة عارية لا يثير مثل

رؤيتها بالبكيني أو شبه عارية أو على وشك التعري، تلك التصميمات لا تراها للأسف في التوحيد والنوم، حتى لو ملابس نوم، أغلبها ملابس محجبات،

في حوار مع صديق أحمق في العمل قال لي لا تتزوج إلا محجبة، الحجاب عفة، وأنا لا أعرف أي عفة يأتي بها الحجاب في زمان يتم فيه التحرش بإناث الكلاب، المنقبات لم ينجين من المعاكسات حتى، فماذا أضاف الحجاب للعفة لا أعرف، سامية مثلاً تصلي ومؤمنة منذ الصغر أن ارتدائه طمعًا في مرضاة الله، ولن تقوم مثلا عند أول مشاجرة مع فتاة " تظهر شعرها " بأن تقول لها " يا وسخة ياللي سايبة شعرك للرجالة" كنوع من الحقد الدفين.

نعود إلى جميلات الحفلة، أمشي واضعًا يدي في جيبي، أتمشى بكل فخر وكأنني صاحب البلد، حتى أقترب من البار، ألاحظ الجميع يمسك هواتفه النقالة، فأحمد الله إنني نسيته في السيارة، ولكني احتفظت بالولاعة، في حالة ظهور فتاة " ممكن تولعلي " الأسطورية، أشعر إنني بدأت أفكر مثل سيدنا عماد بالضبط

أقف قريبًا من البار وليس أمامه، أدير ظهري له وأفكر،

ماذا سأطلب من البار؟

أعطي ظهري له وأنظر إلى الحفل واسترق السمع على ماذا يُقبل الحاضرون

كنت أعرف بصفتي مشاهد جيد للأفلام الأجنبية بعض الأنواع..

لكننا نحتاج إلى تصويت لمعرفة من الفائز، والرأي هو رأي الجماهير في النهاية

" أسعد، أسعد "

صوت حريمي، بالطبع ليس نوع خمرة ولكن اسم النادل، هناك اثنان على البار

" كوبا ليبرا "

البداية غير مطمئنة " ماسمعتش عن أم المشروب دة "

" فودكا وتلج "

" سمبوكا "

" تكيلا "

" فودكا يا أسعد "

" سكوتش "

" فودكا "

" موخيتو"

" 2 تكيلا يا أسعد "

" موخيتو "

أنظر إلى الفراغ ثم أحدث نفسي

"ما حدش يطلب بيرة، ويسكي، حاجة أعرفها، هي الفودكا الحاجة الوحيدة اللي أعرفها

طب وبعدين، الفودكا تقيلة على ما أسمع، ومش عايز أعمل فضيحة وأقعد أكح زي الأفلام العربي القديمة لما يقولوا لحد أشرب، جرَّب وكدة، أعمل إيه، طب أروح أقوله بيرة، طب افرض سألني بيرة نوعها إيه وأنا ما أعرفش غير الستيلا، أومال أروح أقوله عايز فوخيتو، بص ياد يا خالد، مابديهاش، فودكا وآخده وأتمشى على جنب وأروح لاطعه ونشوف اللي حيحصل، التضحية أول المجد "

أقف خمس ثوان، نفس عميق، ثم ألتفت مرة واحدة وأتجه ناحية البار، فينظر إليَّ هذا الأسعد الشقي بابتسامة، فأقف بثبات أمامه، عيني في عيناه

"بيبسي دايت"

" تحت أمرك يا فندم "

آخذ الكانز وأبتعد، التردد سمة العباقرة

أفتح وأبدأ في الشرب متخيلاً أنني أسكر

" بتشربي إيه يا حلوة "

ألتفت إلى عماد

" اللي لقيته في الكشك"

" طب كويس إن قلبك جامد إنك تروح تطلب أساسًا"

" لاا .. الراجل كان متعاون جدًا"

" بس ليه طلبت حاجة تقيله كدة ؟ أنا كنت أفضل تاخدها واحدة واحدة "

" عيب عليك، أنا ضارب اثنين فانتا إمبارح"

" وعملت بيبي على روحك بالليل ؟"

" مش مهم طول ما فيه مشمع"

أرفع العلبة لأشرب فيأخذها من على فمي

" ما تملاش بطنك ميه عشان تعرف تتغدا يا بابا "

ويذهب إلى سلة مهملات ضخمة ويلقيها فيها بعنف

" يلا نروح نشرب زي الناس"

أنظر له وأنا ما زلت رافع يدي على وضع الشرب ولكن بيد خالية

" اللي تقول عليه، بش يا ريت حاجة من غير ريحه عشان مروح بيتنا "

ينظر إليَّ بشيء من قرف

" روح هات الكانز من الزبالة طيب "

" خلاص يا عم، أنت بتقلب ليه "

نتمشى ناحية البار، أجعله يتقدم خطوة، ويتقدم هو بثبات

" بتحب الليمون ؟"

" جدًا، لو بالنعناع كمان يبقي هايل "

يصل إلى البار دون الاهتمام بكلامي

" 2 مارجريتا "

" أكيد يا افندم "

ينظر إليَّ ويبتسم ابتسامة غير مفهومة بالنسبة إليّ، بدأت أشعر بالقلق

" تنبسط "

" بس خلينا ننبسط على ركن"

" ليه بس ؟"

"عشان السمعة، أنا ماعيش غيرها "

" ماشي يا عم "

يقاطعنا البارمان

" enjoy"

ويضع الكؤوس أمامنا، شكلهما مختلفين عن باقي الكؤوس، أقرب إلى الأفلام العربي القديمة

آخذ كأسي ونمشي سويًا، أتذكر حديث تحريم الخمر، عن لعن حامله،

" آدينا أهو بنتلعن من قبل ما نشربه حتى"

نظر إليّ نظرة متفهمة وقاطع حبل أفكاري

" اقطع فكرة الحلال والحرام، ومدام قررت تعمل الغلط، استمتع وبعد كدة اعمل اللي في دماغك"

" على رأيك"

ثم استطرد في اهتمام

" أي توجيهات أو نصائح لطريقة الشرب "

" ارفع الكاس لبوقك واشرب، بس بالراحة"

" ما أخدوش وان شوط"

" وان شوط !..... بس يلا "

أنظر إلى الكاس، ثم أنظر إلى من حولي، الجميع يشرب باستمتاع وبهجة، فلماذا أقوم بدور الحذر، أنظر إلى الكأس ثم إلى عماد الذي بدأ في تجرع الكأس الخاص به أمسك الكأس أرفعه إلى فمي، ورشفة كبيرة بعض الشيء

****

تغيرت تعبيرات وجهي ... أجمل تعبير عن روعة المذاق، لأول مرة يلتقي هذان العضوان في جسم إنسان واحد، الحاجب والذقن

" إيه دة يا عماد، دة أمي بتغسل بيه الحوض"

" طب شوفت من أول كاس ابتديت تشوف الحقيقة، أمك طلعت بتسكر وبترمي بقيت الإزازة في الحوض عشان ما تعرفوش"

آخذ رشفة كبيرة أخرى وأنظر له

" إيه يا عم دة "

وأنظر إلى الكأس ثم أرفعه كله مرة واحدة

" إيه يا عم دة "

" أنت علقت "

" إيه دة يا عم، أنا حاسس إنني اتخميت "

" ليه، عشان الكاس صغير ؟"

" لا يا عم، الساسبينس باظ، توقعت تجربة فريدة، دة كدة حوض فريدة"

" أجيب لك تاني ؟"

" لا يا عم شوفلي حاجة تانية تبقي مسكرة، لكن جو مطهر الجروح دة بلاش"

" يبقى ارجع اشرب فانتا تاني"

" والنبي يا عماد ما تفصلني وروح شوف حاجة كويسة لحسن ضميري حيصحي من المزازة "

" لا ما دام كدة خليك واقف مكانك دقيقة، إحنا ما صدقنا "

يذهب ناحية البار، بينما أقف أنا وأحدق في المدعوين، المشروب لم يكن بهذا السوء ولكن إحساس أنك ترتكب ذنب يجب أن يقابله لذة لكي تقضي عليه، في الحالة التي

به إن لم يجد مكافأة للفسق، فسيكون هناك الكثير من عذاب الضمير " أخلص يا عماد "

يعود مرة أخرى ويحمل كأسين ويعطني كأس به شرائح ليمون

" ليمون تاني يا عماد، هو أنا عندي برد !"

" مش أنت اللي قلت بتحب الليمون "

" تروح مطلع ليمون أمي من الأرض "

" لا دة أحلى .. جربه بس، دة موخيتو... "

" بلا موخيتو بلا شوفيتو، أنت ليه مُصِّر إني بحب الحمام، أنا خايف المرة الجاية بدل التلج ألاقيك جايبلي سدادة الحوض"

أنظر له وهو يضحك وأشير له على الكأس الآخر

" إيه التاني اللي معاك دة "

" دي فودكا "

آخذ الكأس من يده

" أنا حعمل فيها روسي وأنت سلك الحوض بتاعك "

" بس دي مش مسكرة "

" محدش قال إني جاي أشرب قصب يا عماد ما تفصلنيش "

شيء من العصبية في كلامي، وهو ينظر ويضحك

أمسك الكوب الصغير وأنظر له

" وما فيهوش تلج ليه ؟"

" هو سڤن أپ، اشرب بس ربنا يهديك "

" يا رب "

وأشرب نصف الكأس، وأنظر له

" إيه يا عم دة بس الله يخرب بيتك"

وأشرب باقي الكأس واضعه في يده

" روح يا عم شوف لي حاجة تانية الله لا يسيئك "

يضحك وينظر إلي

" يا عم مينفعش، كفاية كدة "

" يا عم أخلص و .....

يقاطعني ويشاور لي وهو يفتح عينيه على آخرها

" هسسسسسسسس، وطي صوتك شوية "

أرد عليه بصوت خافت

" هو أنا صوتي عالي ؟"

" فحت"

" دا سُكر ولا طاقة سلبية مكبوتة ؟"

" تقريبًا سُكر طلع الطاقة السلبية المكبوتة"

" آآآه، طيب روح هاتلي حاجة تانية"

" يا عم أنت مهيس"

" طيب مش فارقة أخلص وهاتلي حاجة هادية"

" طيب خليك مكانك ما تتحركش"

" أنا ثابت يا عم الناس هي اللي بتتحرك "

يذهب وأبدأ في النظر إلى الجموع الغفيرة، لا أستطيع التركيز، وأشعر إنني اهتز قليلاً، يجب أن أبقي على ثباتي، وإلا سينتهي الأمر إلى مشهد " الناس كاااتيرا ليه، هو النهاردة إيييييه "

أبتسم بدون داعي لا أعرف لماذا، وأشعر "بزغزغة " خفيفة لا أعرف أين صراحة يعود حاملاً زجاجة لونها زاهي يعطيها إليّ

" إيه دي "

" بيرة "

" يا عم وأنا عيل !"

" الله، دة أنت أول مرة تشرب، أنت بتعيش ولا إيه"

" ومال لونها كدة ؟"

" اشرب من سكات "

" أمرك يا عم "

أشرب وأنا لا أفهم ماذا أشرب ولا أركز في طعمه كثيرًا

" هو عبد المجيد مش جاي "

" عبد المجيد مين ؟"

" عبد المجيد القُبرصي "

" قصدك عبد الله "

" أيواااا"

يسحب من يدي الزجاجة

" أنت كدة كويس خالص"

" أنا معاك في كدة برضو يا عم الشيخ عماد اااااا "

وأنظر له بتركيز

" أنت اسمك كان عماد إيه"

" عماد الدين "

" دة زي جيمس دين "

" هي حتطلب معاك ألش "

" هي اللي تطلبه أنا لازم أعمله،،،، يا عماد الدين "

واستطرد

" بقولك يا عماد الدين "

يمسك يدي ويشدني، لا أعرف لماذا ؟

" أنت بتشدني ليه يا عماد الدين "

" تعالى نقعد جوة شوية "

" مع عبد الله الدين "

يشدني ونمشي وهو يرد

" آه"

" ينفع يبقى أنا كمان خالد الدين ؟"

" نبقي نروح الشهر العقاري ونغير الأسامي "

وهو يشدني نمر جنب مجموعة فتيات تقف في منتصفهم فتاة شقراء جميلة وتنظر إليّ

" ودي صافيناز الدين ؟"

" ابقى روح اسألها"

" ومعاها نجلاء الدين، وشكيناز الدين ؟"

" آه"

" عماد الدين "

" نعم"

" أنت شكلك عايز تسب لي الدين "

" لما نقعد عشر مرات "

في الداخل الجميع يضحك بصوت عالي، ليس العدد كبير ولكن الصوت عالي جدًا، يجعلني أجلس على كرسي فوتيه كبير جدًا

" أنت عارف يا عماد الدين اللي بيسب الدين بيحصله إيه"

" إيه"

" وحياة دين أمي ما أعرف "

واشرع في الضحك فيعطيني الزجاجة، تقريبًا لكي أصمت

أمسك الزجاجة وأستكمل الشرب، وأنظر إلى نفس الشقراء، لا، إنها واحدة أخرى، الكثير من الشقراوات، مصر ليست شعب أشقر، هل هذا آثار الغزو الروسي، تبًا لجورباتشوف، أسقط الإتحاد السوفيتي، على من الدور، الإتحاد السكندري،

" بس دة نادي ودة نادي تاني خالص"

أبدأ في الكلام بصوت عالي بينما عماد يعود مرة أخرى إلى الحديقة

" هو شكله زعل، يا ريت بس ما يكونش راح يجيب أصحابه وجايين يضربوني "

أنظر إلى الشقراء. لا إنه أشقر،

" أوكرانيا صح ؟"

لا ينظر إلي، لماذا يحتقرني الجميع ؟ لا أعلم، حتى ذلك الشاب الذي لا أعرفه، وهو من جنسية أخرى، أو قد يكون قد صبغ شعره، ولكن لماذا يصبغ شعره

" الباشا Gay ؟"

يلتفت إليّ وشابة صغيرة الحجم تقف معه وينظران إليّ باستغراب

" لا مش جاي، ممكن يكون جاي من الناحية التانية "

وأضحك

" في إيه، أنا مش أنا خالص، وهما هما، بس هما مش عارفين إن أنا اللي معاهم مش أنا "

يعود عماد وحيدًا

" اهدأ كدة شوية وحنمشي"

" ليه أنا عملت حاجة ؟"

" شوية وحتعمل"

" دول كاسين بس"

" كتير"

" هو الكاس التاني اللي بوظني، أنا طماع، كنت رضيت بالشوخيتو وخلاص"

" آه، أنت جحش"

" دة معناه إني مش حشرب تاني يا عماد "

" فانتا على سفن دة آخرك "

" طب تراهنني أروح للبار وأجيب لك اللي أنت عايزه "

" لا يا عم مش عايز حاجة"

" بس لو جبت اللي أنت عايزه حشربه هو واللي أنا عايزه"

" أنا ما راهنتش على حاجة"

" طيب أنا رايح "

وأقف مرة أخرى

" طيب "

فيشد يدي مرة واحدة فأسقط جالسًا على الكرسي مرة أخرى

" طيب "

وينظر إليّ وهو يضحك، لا أعلم لماذا شكل ضحكته اختلف ؟

" هو أنت سنانك كبيرة ليه قوي كدة يا عماد الدين ؟"

" ما أعرفش"

" كانت عادية من شوية، أنت رُحت غسلتها ؟"

" آه"

" ليه بس ؟ عشان لما تبتسم سنانك تلمع فالحريم تجري عليك"

" آه "

" طب كنت قلت لي كنت جبت المعجون معايا "

" المرة الجاية، المهم أنت مبسوط ؟"

" حسألني وأرد عليك "

" طيب كويس"

ويستطرد ..

"بكرة القعدة عندي في البيت"

" أوباااا هو في بكرة كمان "

" آه"

" طب مش كنت تقول لي عشان أجيب قميص كمان من محل التوحيد في النوع "

" لما تروّح ابقي دوّر "

" وأنا ينفع أروّح "

" أكييد "

" إيه دة، أُمال فين الحريم ؟"

" بكرة "

" في السريع كدة ؟ "

" آه "

" كويس، هات سيجارة "

يخرج العلبة من يده ثم يعطني سيجارة ويشعلها لي

" حاسب بس لا تلسع نفسك ولا تخرم هدومك "

" كويس أنك قلت لي، ما تخافش أنا مركز"

" متأكد ؟"

" آه وابقى ركز أنت كمان معايا، زيادة تركيز"

" طيب، بس أنت سكرت بسرعة كدة إزاي "

" كان عندي الدافع "

" اللي هو إيه إن شاء الله ؟"

" مو مو مو موتيڤيت "

" طب أوعى تتكلم إنجليزي هنا "

" عشان سكرت بسرعة ولا عشان الموتيڤيت"

" عشان خاطر النبي "

" طيب يا عم، استعر من ابن حتتك "

تعلو وجهه ابتسامة اندهاش، واضح إنه مستمتع بيا

" طيب روح اقعد يا عماد الدين مع عبد الله الدين، وابقى تعالى كمان شوية "

" أنا عايز أعمل كدة بس أخاف لأسيبك تعمل فضيحة"

"لا روح عيب يا عم، وأنت مصاحب عويل ولا إيه، أنا مسيطر"

" طب عشر دقائق وأرجع لك "

" براحتك يا أسطي أنا مش حتحرك من هنا "

"قشطة "

يتوجه مرة أخرى للخارج، بينما أجلس وحيدًا

ألتفت فتكون المفاجأة، بار آخر صغير به بارمان آخر

" حلو قوي، أجيب حاجة تسليني"

أجد نفسي أستطيع التركيز قليلاً، فأجمع نفسي وأقف وأتوجه إليه بجرأة غير طبيعية

لأذهب إلى البار، البارمان شاب يبدو أنيقا، أسمر اللون ويرتدي حُلة أنيقة، على عكس هاواي في الخارج

" مساء الخير "

" مساء النور يا أفندم "

" هاتلي واحد "

" واحد إيه يا أفندم "

" واحد صاحبي "

وأضحك ضحكة صغيرة وأظل أنظر له وأبدأ في النظر إلى الزجاجات المختلفة الملونة

" أنا عايز أشرب حاجة نادرة شوية عشان تمشي معايا"

" أنا ممكن أعمل لحضرتك .....

" مش عايز ليمون وحياة خالتك يا شيخ"

أقاطعه بصوت خافت

"بص هو الأخضر اللي في الإزازة دي "

" آبسينث "

" يعني مش ليمون"

" لا يا أفندم ما فيهوش ليمون "

" دة كويس دة ؟ "

" بس قوي جدًا يا أفندم"

" يعني حيضربني، هاته نشوف آخره إيه"

" اللي تؤمر بيه يا أفندم"

مهندس كيمياء ليس مجرد بار مان، يظل يصنع تجربته الفنية وفي النهاية يعطيني الكأس الكبير بابتسامة صفراء

" اتفضل يا أفندم"

" تُشكر يا حليوة"

آخذ الكأس وأمشي حتى الكرسي أضع الكأس على المنضدة وأرمي نفسي على الكرسي

أنظر لأجد فتاة تمر من أمامي ترتدي أحلي فستان قصير رأيته تلك الليلة، شعرها لا أعرف لونه ولكنها طويلة بسيقان بيضاء كالرخام

" رحاب الدين "

تنظر إلي باستغراب وترد

" أفندم ؟!!"

" استأذن حضرتك في سيجارة "

تبتسم وتمد يدها في حقيبتها الأرجوانية الأنيقة، أنا لا أعرف لونها ولا أعرف اللون الأرجواني كيف يبدو، ولكن، ولكن

تعطيني السيجارة بأدب وابتسامة اندهاش

" ممكن تولعيلي "

تضحك ضحكة صغيرة عذبة وهي تخرج القداحة وتقول بمزاح

" مش المفروض أنا اللي أقول كدة ؟ "

" لا بعد الشر، التانيين بيبقوا لابسين ملايات لف "

تضحك وهي تشعل السيجارة لي في مشهد لا أفهم حتى الآن .. كم أنا جريء فيه!

" حاجة تانية يا سعادة الباشا"

" إيه باشا دي، اسمي خالد بيه بس، ما تعمليش تكليف "

تبتسم

" حاجة تانية يا خالد بيه "

" والنبي أنا حطيت الكاس الأخضر دة على الطرابيزة، بس ما أعرفش ليه الطرابيزة بعدت، ممكن تدهوني ودي آخر حاجة أطلبها منك"

تضحك وتمسك الكأس وتستنشق رائحة الكأس

" دا آبسينث ؟"

" آه "

" أنت أول مرة تشربه ؟ "

" دة أنا مالي التلاجة منه، ما تقوليش كدة "

تضحك

" أنتِ اسمك إيه ؟"

" هادية "

" لا واضح ماشا الله"

" معلش أنا معايا ناس "

" معاكي فين ؟"

" برة أصحابي يعني "

" أوه سوري، سلميلي عليهم كتير جدًا "

تبتسم

" أكييد "

" وميرسي على التلاتين ثانية اللي قعدتيهم معايا دول، يو ميك مي داي"

تضحك

" أنت ظريف قوي"

ابتسم كأي شاب سيكسي

" وأنتِ أجمل حاجة شوفتها النهاردة "

تقف وتبتسم

" بعد إذنك "

أرفع الكأس

" إنجوي "

تشير ناحيتي

" you too"

وهي تبتعد أقول لها

" حشوفِك تاني "

تشير لي بيدها وهي تضحك، وبينما أتابعها وهي تسير إلى الخارج، أجد عماد يقف ويضحك

وأرفع له الكأس كتحية وأشرع أن أرفعه إلى فمي، وقبل أن يلمس شفتي أجده يصل عندي ويمسكه من يدي بهدوء ويسحب الكأس

" في إيه يا عم "

يشم الكأس وينظر إليّ باستغراب

" أنت جبته منين يالا ؟"

" أسكت مش طلع في كُشك جوة كمان يا عم "

" أنت عارف دة إيه ؟"

" آبسينث يا عم، أمي بتدعك بيه الصحون "

يضحك

" أنت لو كنت شربته، ما كانش ينفع تروّح، دة لو روَّحت أساسًا"

" ليه هو أقوى من الڤودكا ؟"

" الڤودكا بالنسبة له عصير مِكس شوكلاتة، دة أنا ما بشربوش "

" يااااه، أنا اتاغبيت قوي، طب إديني أدوق بُؤ صغير "

" خد بس أكتر من بُؤ على مسئوليتك، حسيبك تروَّح لوحدك"

آخذ رشفة صغيرة، لا أشعر بأي طعم

" وسط المعمعة اللي شربتها دي مش عارف أستطعم حاجة"

" أنت شربت كاسين و أزازة ID "

" بالنسبة لمبتديء إيه "

" لا كتير صراحة يا خالد الدين "

" طب يلا بينا "

نقف ونمشي

" أسيبك 10 دقايق، أرجع ألاقي معاك هادية وآبسينث "

" أنت تعرفها ؟"

" طبعًا، دي جارتي "

" قشطة عليك يا عُمدة"

" شششششششششش بس يا فضيحة"

" حاضر "

نخرج في هدوء ونتوجه إلى السيارة البعيدة

" بكرة تاني ؟"

" أنت شِبطت "

" أنا بسأل يا عم عماد "

" إن شاء الله "

" وهادية جاية ؟"

" أيوة، أنت إيه فاكر نفسك ظبطها "

" عيب عليك، بكرة تشوف، بس إديني أنت كاسين وحتلاقينا مع بعض بكرة بناكل كبدة من الشرقاوي اللي في باب الشعرية "

يضحك وهو غير مصدق نفسه

نركب السيارة

" هو إحنا قعدنا أد إيه ؟"

" ثلاث ساعات "

" نعم!!!! "

" الوقت قبل الكاس حاجة وبعديه حاجة تانية خالص "

" يا راجل "

يقود ويعود بنا، ولكن ألاحظ أنه ليس طريق البيت

" إحنا رايحين فين يا عم"

" حننزل القهوة شوية "

" ليه يا عم الفصلة دي "

" لازم أنت تفصل عشان ما تروَّحش وتعمل فضيحة "

" كلامك صح، لحسن كمان أختي سامية في البيت وممكن تهرشني"

" هو أنت احتمال كبير تتهرش، لو حد قابلك، بس إحنا بنحاول "

" حاول، حاول،،،،،،، تفتكرني، حاول حاول"

نقترب من قهوة في الطريق إلى رمسيس، يركن بجانبها وننزل معا لنجلس على منضدة تقريبا بجانب باب السيارة.

" ما تتكلمش لحد ما تيجي القهوة "

أشرت برأسي علامة الموافقة، بينما طلب هو فنجانين قهوة من القهوجي، وجلسنا خمس دقائق لا أكثر حتى أحضر فنجانين من القهوة ووضعهما مع كوبين من الماء المثلج، أخذت رشفة من الماء ثم بدأت في شرب القهوة في هدوء، مرَّ حوالي نصف ساعة وأنا أشرب فنجان القهوة، شعرت بعد قليل من الانتهاء منه بالفارق، بدأ الإحساس يختلف، وبدأت أعود للسيطرة على حواسي قليلاً حين قاطعني

" هاااه، إيه الأخبار دلوقتي ؟"

" كويس "

" مبسوط ؟"

" مش عارف"

" يعني فرقت معاك السهرة ؟"

" جداااا"

"والخمرة ؟"

" ما تفكرنيش يا عم، دة أنت لو بتدعك حمام بلدي مش حتحط فيه الحاجات دي"

يضحك ثم ينظر إليّ وعينيه تلمعان

" فهمت يا خالد ؟"

أفكر للحظة فيما وراء الكلمة، " فهمت "، بالطبع فهمت، وعرفت وشعرت وفعلت وتفاعلت، قد يكون مجرد كأسين لشخص مبتدئ، لا شر منهم و لا خير، و لكن بالنسبة لي، كأسين فقط جعلوني أفعل ما لم أكن أستطيع فعله في حياتي، لو كنت بعقلي في تلك الحفلة لحاولت اجتناب الناس لعلمي أن عالمي غير عالمهم، وإنني لا أعلم شيء وأجهل عن كيف يعيشون في تلك القصور، ربما كانت دفعتني للرحيل أو الاختباء، وتجنب الحديث معهم خوفًا من أن ينكشف سري فيعلمون أين أنا من خرائطهم، وكنت كذلك حتى شربت فقط كأسين، بعدها أصبحت أمشي كواحد منهم، أقف على البار غير مبالي وأختار ما بين أنواع الخمور التي أجهلها، بدلاً من الوقوف ساعة لطلب كولا دايت، وأن أتحدث إلى أجمل من وقعت عيني عليها في الحفلة وكأنني أعرفها وبكل جرأة وجسارة، في حين أن الواقع إنني كنت أخجل من شراء خبز من أم عبير في باب الشعرية، لأن عبير " غمزتلي " في إحدي المرات مع العلم أن عماد أكثر أنوثة منها، بالطبع فهمت أنني قد فاتني الكثير، وأن كأس فودكا واحد في زمن آخر قد يمكن أن يجعلني أذهب وأخطف نادية من بين أهلها، وإن ما لم أجربه هو خسارة غير محسوبة لمكسب غير مفهوم..

" فهمت يا عماد "

" كويس "

" إيه الخطوة الجاية ؟"

" مفيش خطوات، أنت اللي بتحدد حتعمل إيه، احتمال تبقى في حفلة بكرة أو في خلال الأسبوع اللي جاي عندي في البيت، حتيجي أو مش حتيجي دة براحتك، حتدمن خمرة ، حتشرب حشيش حتنام مع نسوان، مش بتاعتي، أنت اللي تختار تقدر تشيل إيه، عشان ما تلومش بعد كدة غير نفسك"

" فاهم يا عماد .. ما تفصلنيش"

" أنا بقولك عشان تبقي عارف، وما تجيش تقول لي في لحظة ندم، أنت اللي عملت كدة فيَّا، أنت جبتني من على باب الجامع لباب الخمارة"

"خلاص يا وحش أنت فتحت"

" ماشي "

" المهم"

" إيه"

" أنا عايز أشوف هادية"

" أوباااا، أنت الكاسين لسة لاعبين بيك"

" الوحيدة اللي عجبتني وكلمتها وكلمتني "

" يا عم براحتك، هي كدة كدة مش فارق معاها ولا أنا فارق معايا"

" إزاي مش فارق معاها"

" هي متجوزة أساسًا"

" طب مش تقول يا عم، خلاص"

" خلاص إيه"

" مش متجوزة "

" آه بس جوزها مسافر وهي طلبت الطلاق، وهي مش في دماغه" ويستطرد..

" بس بنت ناس جدًا، يعني لو حبيت تعلقها حتجيب اللي وراك واللي قدامك، حاول تكون عملي، خد اللي أنت عايزه من غير ما تورط نفسك"

" اللي أنا عايزه ؟؟!!! "

" السرير "

" دة وش "

" طبعا، نجاح أي صداقة مبني على وضوح الرؤية ما بين الطرفين"

" كلام عنب جدًا، يعني لما أكلمها بدل ما أقول لها أنا بحب في الست قوة شخصيتها وثقتها في نفسها، أقول لها أنا بعشق المرأة في وضع الكلب "

" دة أنت تبقي ابن كلب "

يضحك هو ضحكة قصيرة بينما أنفجر أنا، يبدو إنني مازالت تحت التأثير، يتحدث وهو يبتسم

" مش كدة يا عم، بس ماتدخلش دَخلة حب ولا ترغي كتير في حاجات مالهاش لازمة، حتضطر تخرج وتصرف وأنت اللي خسران، لو قلتلك يلا تبقي يلا "

" دي كدة عايزة إزازة"

"خلينا مانسبقش الأحداث، شوفها ولو مانفعتش وأنت عايز تجرب الموضوع والسلام، حرشقك مع واحدة مش عايزة غير الكلام دة"

" أنا حاسس إن المواضيع بتجري بسرعة وأنا مش مستعد "

" مش مستعد من أنهي إتجاه "

" يعني أشرب وآخدها الأوضة وبعدين آجي أقلع قدامها تلاقي البوكسر عليه علامة التفخيد والنوم، والفانلة عليها علامة الهلال والنجمة الذهبية"

" والشراب عليه علامة صح بالمقلوب ومكتوب عليه (نايتي) "

" والجزمة (أديباس)"

" دي علي الأقل حتتف عليك "

" ويبقى عندها حق "

"خلينا نبص للجانب المضيء، بكرة أجازة أنزل أعمل شوبنج محترم"

" تيجي معايا"

" أكيد مش فاضي لك، بس عارف H&M"

" طبعًا "

" طب مدام عارفه ماتجيبش منه ليه يا حيوان"

" ما أحبش أضيع فلوسي عل...."

" أخرس خالص، ما أسمعش صوتك "

" طيب"

" تسحب 2000 جنيه مثلاً وتنزل تجيب من عنده كل حاجة، وأنا حكلمك لو في حاجة جديدة بكرة "

" ماشي يا عم الشيخ"

" المهم أنت كويس دلوقتي"

" شغال"

" طيب يلا "

يقف ويقوم هو بدفع الحساب ونركب السيارة ونستكمل إلى ميدان رمسيس لينزل بي في نفس النقطة المعتادة

" ما ينفعش تنزلني عند البيت "

" تحب كمان أركن لك جنب السرير، أنزل يلا أنت زي الفل "

" ماشي، سلام "

" سلام"

أنزل وأبدا في السير، أتمشى بصورة طبيعية ليست هناك أي مشكلة، العقبة الوحيدة هي التركيز، ولكن السير إلى منزلك كعادة يومية لا تحتاجها،

وصلت إلى المنزل، لحظة المعاناة كانت في إخراج المفتاح وفتح الباب، الوقت متأخر، فتحت الباب، أمي وأختي نائمتين على عكس المتوقع ليوم الخميس، لا أعرف الساعة ولا أبالي بها كثيرًا، أدخل إلى غرفتي، أخلع ملابسي وأقوم بتعليقها كالعادة، آخذ وقتًا أكثر من المعتاد،

أرمي جسدي على السرير، تلك المرة لن آخذ كثيرًا من الوقت في تأمل السقف،

جسدي يستقر في منتصف السرير، عيني تدور كالخفاش مرتين في الغرفة، عقلي يدور مرتين حول مركز الوعي، ثم يغوص الجميع فجأة في الظلام الحالك وأختفي

الفصل العاشر

خطيئة البشر المفضلة

رسالة

****

أعلم أن كل رسائلي تصلك

فلماذا لا تردين ؟

أعلم أنه ليس الوقت

وليس الظرف

ولكن رُدِّي ولو بكلمة

أنتظرك

أنتظرك

أنتظرك

****

" أنت مش رايح الشغل النهاردة ولا إيه يا خالد ؟"

صوت أمي يأتي من جهة باب غرفتي

" لا يا ماما سهرت إمبارح فحاخد النهاردة أجازة "

" كويس يا حبيبي استريحلك شوية "

وتخرج من الغرفة إلي دورتها اليومية المنزلية،

صداع بسيط، أشعر بالتعب، لا أستطيع أن أرفع رأسي من فوق الوسادة، أو أن أتقلب على السرير، ماذا أتذكر من البارحة

ليس مهم وليس الآن، سوف أستكمل النوم وعندما أستيقظ ،،،،، سوف أستيقظ

****

الساعة 12 ظهرًا

" مش حتصحي يا سلطان ؟"

هذه المرة صوت سامية، تقف عند الباب، لا أرد عليها لسعادتي بالنوم والراحة

" أجيب لك إزازه البيرة يا سلطان"

" اسمها اصطباحة يا نواعم، قومي لفي سجارتين"

تدخل الغرفة وتمشي حتى السرير، لتجلس على حافته،

" عملت إيه إمبارح ؟ "

" ما عملتش حاجة "

" خالد ..... أخلص "

" ما فيش روحت حفلة من بتاعة ولاد الذوات وأتفرجت عليهم وكدة، ما فيش أكتر من كدة "

" وشربت إيه "

" بيبسي دايت "

" خالد "

" وعصير ليمون "

" خالد "

" وجابولي عصير ليمون تاني "

" خالد "

" بس رفضته "

" خاااااالد "

" عايزة إيه من أم خالد على الصبح "

" مش عايزة أعرف حاجة طول ما أنت مش عايز تحكي، بس اللي بتعمله دلوقتي، حتندم عليه بعدين"

كانت تقولها والغضب والحزن يطلان من عينيها

" ما تخافيش يا سامية، أولا أنا مش عيل، وبعدين مصر كلها بتعمل كل الموبقات وعايشين أهم، أنا بجرب بس، هما كم يوم، أشوف إيه اللي فاتني"

" ما أنت ممكن تروح ما ترجعش "

" وأنا حتاجر في الهيروين، آديكي قاعدة معانا فترة أهو، لو شفتي حاجة واحدة أتغيرت، يبقى لكِ الكلام"

"أنا عشان ما أزعلش منك ححاول أصدقك، بس أوعدني ما تبيعش نفسك للشيطان "

" لو حيدفع كويس وماله "

" بس يا لطخ "

" أنا بقيت أسمع الكلمة دي كتير اليومين دول "

" أنت بتسمعها من تلاتين سنة، ولسة ما لاحظتش الحقيقة المرة "

" اللي هي إني لطخ"

" شايف، حتى وأنت بتقولها مش حاسس بيها "

" طيب، روحي اعمليلي شاي وبسكوت "

" وأنت حتقوم إمتى "

" بقوم أهو بس من جوايا الأول "

" ماشي "

تخرج من الغرفة وبينما هي في طريقها للمطبخ، يرن الموبايل

" الووووووووووووووووو "

" إيه يا عم الحوت "

" إيه يا عماد الدين "

" إيه صاحي إزاي النهاردة "

" صداع وهمدان، آثار الهانج أوفر "

" وأنت شربت حاجة تجيب لك صداع حتى، دول كاسين "

" وإزازه بيرة و بؤ أبسبس "

" أبسبس ؟!"

" في إيه النهاردة"

" لا النهاردة بريك، عندي حاجات أعملها وناس أشوفها، مش حاجات من اللي تبسطك "

" طاب يا رب تبسطك أنت يا سيدي"

" أتمنى، بكرة في ناس قليلة جاية تسهر معايا "

" هادية فيهم ؟"

" هادية وغير هادية، اللي أنت عايزه "

ويستطرد

" بس شوف نفسك في الهدوم اللي قلتلك عليها "

" T&N "

"H&M "

ويسكت ثانية

" بني آدم بدماغ كلب "

" ماشي يا عم الشيخ "

" سلام"

" سلام "

أقوم وأدخل الحمام، وأنظر إلى نفسي، لا يوجد اختلافات نفس الهيئة، أشم رائحة نفسي، " يااااااعععع " لا جديد عن المعتاد

أخرج إلى الصالة لأجد كوب شاي وبجانبه بعض البسكوت، ما أعظم الأخوة، أجلس وأشغل التلفاز وأنظر له، ثم أبدأ في شرب الشاي لأجد سامية تأتي وهي تحمل كوب الشاي الخاص بها وتجلس

" هي ماما فين ؟"

" نزلت تجيب طلبات "

" وأنتِ ما نزلتيش معاها ليه ؟"

" ليه عايز تجيب حريم كتير "

" آه ورجالة كمان "

" أنا توقعت كدة برضو "

" أنا خارج كمان شوية "

" فين ؟"

" رايح أجيب هدوم "

" لوحدك ؟"

" أكيد "

" كان نفسي أروح معاك، أنا كمان خارجة "

" رائحة تجيبي هدوم "

" آه حجيب دستة بوكسرات مقلمة "

" طب هاتيلي معاكي "

" ما أنت رايح أهوه زي الشاطر لوحدك "

" ماشي"

" رايحة أزور أخت وحيد وبعد كدة حخدها ونروح لواحدة جارتنا "

" أووووه، Girls Night "

" آه، تيجي يا سوزي ؟"

" لا شكرًا يا أختي"

نجلس لنحتسي الشاي وأجلس قليلاً نشاهد مسرحية قديمة لا أتذكر اسمها ولا أركز كثيرًا لكي أضحك

" أمك شكلها حتتأخر، أنا حروح أشوف بوكسراتي"

" بدري كدة "

" آه وآجي بدري "

" طيب "

كل ردودها توحي بالقلق مما أنا مقبل عليه، ستكون ظهري فيجب أن أحافظ على مساعدتها لي، أدخل الغرفة وأرتدي ملابسي وأستعد للنزول،

أتوجه إلى الصالة، لأجدها تشاهد المسرحية باهتمام

" أنا نازل، إبقي قولي لماما ابنك راح ينضف "

" ما تتأخرش عشان هي حتيجي وحتروح بعد كدة لأم سحر"

" سحر على أمها، ماشي، سلام "

" سلام "

أنزل كأنني متجه إلى العمل، الروتين أسلوب حياة، نفس طريقة المشي نفس المواصلات، إلى أن أتوجه إلى ذلك ال إتش أند إم، أغلب الأمر كنت أدخل أي محل وحدي لأشتري أول شيء يأتي " على المقاس"، أدفع وأخرج، لكن تلك المرة لأن هناك هدف فأخذت ثلاثة ساعات منذ دخولي المحل إلى خروجي منه، كنت أشاهد صور الموديل الملصقة على كل حائط، وأبدأ في شراء المكونات كاملة، حتى لو قفاز أو كوفية.

كنت في غاية السعادة والشعور بالترف مما دفعني ولأول مرة منذ خمسة عشر عامًا، أركب تاكسي على حسابي، لأعود للمنزل

أصل ولأن التاكسي من الصعب أن يدخل الشارع، أمشي حتى أصل إلى البيت، أدخل الشقة لا أحد بالمنزل، أدخل غرفتي وأضع كنوزي برفق في الدولاب، أخرج هاتفي وأتصل بعماد، لا أعرف لماذا

" الهاتف الذي تحاول الاتصال به خارج ....."

لم أكن أريد منه أن يرد على أي حال من الأحوال، فقد تعبت من رحلة البحث عن ابن الناس في المتاجر، المرة القادمة سأكون النجم

استكمل يومي بشكل روتيني، تلفاز وكوب قهوة تلك المرة، تأتي سامية ثم أمي، استعرض آخر خطوط الموضة متابعًا لحظات انبهار " إن ابن الكلب طلع قرشين من جيبه يبر بيهم نفسه"

نسهر ونأكل ونشاهد التلفاز،

كمبيوتر،

سرير،

بخخخخخ

****

الجمعة

استيقظ قبل الصلاة بفترة وجيزة

أدخل إلى الحمام أتوضأ بهدوء، أسمع صوت أمي وأختي يلعبان سويًا في المطبخ

أرتدي ملابسي وأقرر النزول إلى الصلاة مبكرًا

أصل إلى الجامع الصغير أدخل والأمام يصعد إلى المنبر، بالطبع المسجد خاوي، لا أحد يأتي إلى الصلاة مبكرًا، رغم أن جوهر الصلاة يقع في الخطبة، ليست قصر صلاة الظهر إلى ركعتين، هذا الديسكاوند لم يكن الغرض نهائيا،

لكنني صراحة لا ألوم أحد، فذلك الملل الذي أصاب الناس من رتابة وروتينية خطب الجمعة، يجعل الناس في غير اهتمام بالخطبة، لا أحد يبالي، يمكن لأي شخص بعد

ثلاثة دقائق من الخطبة أن يقول لك باقي الخطبة نصًا، والمواضيع التي لا تمت للواقع بصلة، والقصص التي لا تنتهي عن شيوخ علماء لم تسمع بهم من قبل وأحاديث نادرة لا تولد غير التفكير في قشور الدين، اضف إلى ذلك عامل التشويق الأول في الخطبة، الأداء، وما أدراك ما الأداء؟ هناك من يجعلك تذهب في النوم، وهناك من يصطنع حماس نحو قضايا العصر التي تُحل بالاجتناب، و هناك من يخمك " يظل يتحدث بصوت منخفض إلى أن يأتي سيرة العذاب و في لحظة ما

" العذاااااااااااااااااااااااااب والقبررررررررررررررررررر"

فيصحي من كان نائمًا وينظر الحاضرون إلى بعضهم البعض يستكشفون ماذا كان يفعل كل منهم قبل أن يرمي هذا الشيخ بالقنبلة، ثم يبدأ الجميع في النوم مرة أخرى، نادرًا أن تجد إنسانًا يهتم بخطبة الجمعة، رغم أن أساس الخطبة هو كورس تنمية بشرية أسبوعي مجاني لكي تحمس الناس على الثبات والمعاملة الحسنة والكلمة الطيبة، بدل من أن يستغل كل شيخ الخطبة، ليخرج علينا بسب من يريد سبه من التلفزيون والحكومة وأصحاب السلطة، ويسب الفنانة المتبرجة العارية، التي كان هو يشاهدها ليلة أمس،

أجلس ويبدأ الشيخ في الخطبة

" أحبائي في الله، وأحباب رسول الله عليه الصلاة والسلام "

" عليه الصلاة والسلام "

" موضوع خطبتنا اليوم هو فضل النوافل "

"طب أنا اقوله إيه، انزل يا عم الشيخ اعمل سيرڤاي، مين هنا بيصلي أساسا الخمس صلوات، مين بيتوضأ صح ومين بيصلي صح أساسًا، يا يقول إن الكورس النهاردة ليڤل أدڤانس، ناس بروفيشنال يعني بيصلوا كل حاجة وواقفة على النوافل، كان قالنا من الأول شوفنا جامع تاني، يكون في مستوى البيجينر "

الدعاء،

أقيموا الصلاة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

" يا جماعة مش لاقي شبشبي، لونو تركواز في أصفر ومكتوب عليه زيكو، محدش شافه ؟ "

كل واحد بيدور على شبشبه

باب المسجد

" بعشرة جنيه البطيخة الحمرا، اشتري يا بيه العسل "

أوراق دعاية لمحلات صيانة المراكب الفضائية والأطباق الطائرة

وبينما أمشي يرن الهاتف..... عماد

" أيوة يا عم نسيتني إمبارح "

" أنساك يا سلام، أنساك دة كلام"

" أوباااا، شكلها لعلعت جامد إمبارح"

" ولا حاجة يا ابني"

" وايه الكلام النهاردة، تعرف تيجي البيت "

" طبعًا وأنا عويل ولا إيه"

" ماشي يا دكر "

" بس بدري وأمشي بدري يا ريت "

" متقلقش، تعالي على 8 وأمشي زي ما أنت حابب"

" قشطة يا عم الاختيارات"

" المهم فاكر البيت "

" طبعًا يا أوسطي، أوصل وأكلمك أعرف فين الشقة "

" يا أوسطي، لا ركز النهاردة، الليلة عايزة شوية مجهود معانا"

" عيب عليك، الأناقة، الشباب، والتقل صنعة وأنا صنايعي"

" آه أنا حاسس"

" طب خلاص 8 قدام بيتك "

" مستنيك "

" سلام"

"سلام "

أعود إلى البيت، أشعر أنني لم أصبح نفسي، أصبحت شابًا آخر باهتمامات أخرى، كنت في الماضي، أنظر إلى المراهقين الذين يدخنون السجاير و " يمشوا مع حريم " أنهم باعوا أنفسهم للتفاهات والهبل، وأن أميرتي تنتظرني، فلم أكن تافهًا ولا الأميرة انتظرت، لم أكسب شيئًا، ولكنني خسرت أجمل أيام حياتي في التكبر على ممارسة أخطاء المراهقة العادية، كان من الممكن أن أشرب ما أشربه و أفعل ما أفعله، دون أن أفقد احترامي لنفسي، تبًا للأصنام التي صنعتها وأخذت أعبدها حتى ملَّت وتحركت الأصنام وتركتني، فاجعة هي حياتي السابقة، أما الآن فأنا أحاول الاستمتاع، أفعل الخطأ و أنا أعرف أنه خطأ لست مُغيبًا، لن أقول أن كل الناس تفعل ذلك فلماذا أنا لا، بل أنا أخطيء لأنني أريد وأتحمل المسئولية كلها، هكذا يكون الرجل، ولكن ذلك السؤال الذي يخيفني، إلى متى؟ الأصل كان هو أن أفعل ذلك بحثًا عن الإيمان، أن أذهب إلى اليسار ليدلني على اليمين، هل كانت تلك هي الخدعة؟ حتى الآن لم أجد أي علامة أو أي شيء، لعلني والسبب الأرجح هو أنني لازلت في بداية الطريق، أنا لا أعلم شيء، ولن تعيدني ليلة كحول إلى ما تركته سنوات، مازال أمامي ميل لأسيره ثم أحدد إلى أين يأخذني، مازال أمامي الطريق طويل

أعود إلى البيت، كالعادة، لا أحد يأتي من العائلة ليزورنا منذ فترة، أمي تصنع الغذاء وستذهب مساء إلى إحدى الجارات في المنطقة مع باقي " نسوان " المنطقة، الساعة السادسة أذهب لكي أرتدي ملابسي الجديدة، الداخلية والخارجية، سامية تنظر إليّ نظرة لست أفهمها، ولكن إن دلت على شيء دلت على الغضب..

" رايح فين يا خالد ؟"

" منتدى الفلاح "

" اللي عند عماد ؟"

" أيون"

" وآخرتها إيه ؟"

" شوية وهو حيسافر وأرجع أنا إلى ما كنت عليه"

" ولو ما سافرش ؟"

" حازهق وأرجع للي كنت عليه"

" ولو ما زهقتش ؟"

" يبقي فلوسي حتخلص "

" خالد، أنا عايزة أعرف دلوقتي أنت بتفكر في إيه ؟"

" بفكر أعيش حياتي شوية، أغير الكآبة والروتين اللي أنا عليه، وأنتِ عارفة أنا تقريبًا ما ليش صحاب، وجاتلي فرصة من السما عشان أخرج من القمقم اللي أنا كنت عايش فيه"

" أولا السما ما بترميش زبالة، والقمقم دة أنت اللي عملته بأفكارك الزبالة عن البشر"

قالت تلك الجملة الأخيرة بحدة وغضب

أنظر إليها وأتحدث بهدوء

" أنا كنت بحافظ على احترامي لنفسي وبحافظ على سمعتك يا سامية "

" ودلوقتي وأنا متجوزة مش عايز تحافظ على سمعتي، ولا سمعتك عشان أنت كمان تتجوز واحدة محترمة زيك ؟"

وترفع سبابتها ناحيتي بشيء من العصبية

" أنت كنت بتحافظ على صورتك أنت بس يا خالد، أنت عمرك ما فكرت غير في نفسك وفي صورتك قدام الناس"

أنظر إليها باندهاش

" في إيه يا سامية، أنتِ مالك النهاردة ؟"

" مالي إني شايفة أخويا بيبوظ على كبر، دلوقتي اللي بقيت حكيم وشايف الدنيا وعايز تجربها، في الوقت اللي مفروض تكون فيه عقلت وهديت "

" أنا يا سامية كبير وعارف أنا بعمل ايه "

" أنت بتمثل، أنت طول عمرك اللي أمي بتقول لك عليه بتعمله من غير نقاش، يعني أنا لو روحت قلتلها وهي زعقت لك، حتنسى عماد دة من حياتك "

استفزتني تلك الجملة الأخيرة

" سامية، أنا مش عايز أتخانق معاكي ولا أزعل منك، روحي شوفي أنت بتعملي إيه واعمليه "

" يعني مش خايف أقول لماما، بقيت كبير دلوقتي ؟ "

" سامية، أنتِ بتتحولي، أنا مش عارف العصبية دي ليه ؟ أنتِ قاعدة شوية وراجعة بيتك، مش الشوية اللي حتقعديهم تخسرينا بعض فيهم"

" يعني ممكن تخسرني عشان عماد بتاعك دة ؟....."

أقاطعها

" لا طبعًا أنا قصدي..."

تقاطعني هي تلك المرة وهي تمسك يدي

" خلاص النهاردة آخر مرة تروح له "

تنظر إلى عيني والشرار يتطاير منها، لن أستطيع أن أعدها بشيء لن أفعله، ولكن يجب أن تهدأ، على الأقل حتى لا تُجن وتخبر أمي

أمسك يدها بهدوء..

" طب اديني شهر "

" ولا يوم يا خالد"

" أنا عارف أنك خايفة عليا بس إديني وقتي"

عينيها تحمر

" خالد "

" معلش يا سامية "

" لا"

بدأ صوتها يعلو، فأمسكت يديها الاثنتين بعصبية

" بصي يا سامية، أنا قلت لك إديني شهر عشان خاطر ما أزعلكيش، أنا ممكن أسيبك تقولي لأمك وأعمل برضو اللي أنا عايزه، بس عشان أنتِ أختي، بقول لك أنا حعمل إيه"

تشد يدها وتفلتها من يدي

" وكبرت وقلبك مات أهوه "

تتركني وتذهب إلى باب الغرفة ثم تلتفت ...

" غووور مطرح ما أنت حابب، بس بقك ما يتفتحش لحد ما أنا كمان أغوور من البيت دة، مش عايزة أسمع صوتك "

وتخرج وعينيها قد بدأت في الدموع

لا أعلم ماذا حدث، هل يمكن أن تكون قد رأت نهاية الطريق، وأنني سأذهب بلا عودة، بدأت تشككني في نفسي بعد أن كنت قد اتفقت داخليًا على استكمال الرحلة، استكمل ملابسي وأذهب إلى الباب لأجدها في الشرفة، أفكر للحظة أن أصالحها، ولكن لا، ليس الآن، أتوجه إلى الباب وأنزل

المواصلات إلى هناك ليس بسهلة، ولكن الأمر يستحق المجازفة والتعب، بالطبع أنزل مبكرًا حتى أركب أتوبيس نقل عام، بالطبع ليس غرضًا في التوفير، ولكن " عشان

أقف فالهدوم متكرمش " أعلم بأي حال من الأحوال إنني سأعود بتاكسي " يعني فيها خراب بيوت" ولكنني تعهدت بأن أستمتع بكل لحظة في حياتي، كنت قد وضعت ميزانية جيدة للاستمتاع داخلها مصاريف ملابس، خروجات، مواصلات، وحين تنتهي الميزانية سأقول لعماد " السلام عليكم" فبأي حال من يضيع " تحويشة العمر " في تجربة، لا يستحق أن يستكمل هذا العمر، ليت سامية تدخل إلى دماغي لتفهم، ولتشعر بالأمان، الذي لا أشعر به أنا شخصيًا، أنا مقنع ولكنني لست مقتنع

ساعة ونصف حتى أصل إلى هناك، أنزل أمام المنطقة التي قد كان أشار إليها أنها بيته، كان هناك أكثر من شيء يذكرني بها، محطة أتوبيس ولوحة إعلانية مميزة، أطلب عماد، لا يرد أول مكالمتين، في المرة الثالثة يرد

" خوليو "

" خوليو،،،، متلم نفسك "

" لازم يكون ليك اسم دلع، أقولك يا خالوود يعني! خوليو حلو "

" بلاش خوليو، في إيحاءات "

" أُومال أقولك إيه قدام الناس "

" أبو دنيا "

" أبو أمك أحسن "

" بس أنا أمي ما اسمهاش دنيا "

" بس يلا، أنا إيه اللي بيخليني أكمل معاك في الهرس دة، هي خوليو "

" شكلك حتسلمني للثري العربي صديقك، خوليو خوليو "

" طيب أنت فين ؟"

يشرح لي المنزل الذي لم يكن صعبًا أبدًا، فيلا صغيرة دورين لها مدخلين مما يدل أنها مقسومة على اثنين من الملاك، أدخل التي على اليمين، البوابة مفتوحة، جنينة

صغيرة وبوابة أيضًا، ولكنها أنيقة، أدخل حتى باب الڤيلا ذاته، لا أسمع صوت حفلة حتى يفتح الباب لأجد عماد وأصوات أخرى بالداخل

" هي مالها الدنيا هادية كدة "

" دي مش حفلة دي قعدة "

أنظر خلف ظهره لأجد كثير من الدخان

" دي غرزة قصدك"

" whatever، خش"

ديكور حديث، سلم للدور الثاني الموجودين لا يتعدون الخمس عشر شخصًا، ينظر إليّ الجميع حين أدخل، أعتقد أنهم مجموعة تأتي دائمًا مما يجعلهم ينظرون إلى الوافد الجديد،

" يا جماعة دة خالد صاحبي، أكيد شوفتوه معايا كذا مرة قبل كدة "

ينظرون إلى بعضهم البعض يقول " هاي خالد " وأخرون يرفعون كؤوسهم أو سجائرهم تحية لي، فأرد التحية برفع يدي وابتسامة خفيفة، حتى يقاطع عماد "you can call him kholio "

بصوت هامس

" اتلم يا ابن الخوليو أنت "

" البار هناك، معنديش بار مان، دلّع نفسك "

يتركني ويصعد إلى الطابق الأعلى، لا أجد أحد أعرفه من الحفلة السابقة، وبالطبع ليس هادية،

أذهب إلى البار وأنظر إلى الزجاجات، وبينما أعبر طريقي أشم رائحة الحشيش تملأ المكان، أي طفل في الخامسة من العمر يعرف رائحته التي تشبه البخور، لست أبدًا مهتمًا بتجربته، لا أعرف لماذا، لعل لأنه ليس قانونيًا، بالطبع أمزح، لكنني أجده

أنسب للسائقين والصنايعية، ولاد الناس بيشربوا خمرة وبياخدوا حبوب هلوسة، بالطبع ليس الترمادول،

بالطبع كلما أحاول إقناع نفسي به هو هبل وهرتلة، مغيبات العقل باختلاف أنواعها لا تختلف شيء، سوى حجم الأعراض الجانبية ومدى توافرها، لكن لعل لأنني بطبيعتي " أليط " فأرى نفسي رشدي أباظة، خمر وسجائر ونسوان، فقط

كالعادة أنظر ما بين الزجاجات في حيرة، ليس هناك أسعد أو أتعس أو أشهب لعمل الكوكتيل، جانب البار أجد ثلاجة صغيرة بها زجاجات بيرة، أريد أن أبدأ الأول بشيء جميل، الأسامي مألوفة جميعها، بالطبع جلست على جوجل لأعرف جميع أنواع المشروبات بنسب الكحول حتى لا يشعر أحد بجهلي، أجد زجاجة فودكا شفافة عليها إقبال شديد، فيتبقى في الزجاجة ربعها، أقف بكل ما أملك من تناكة، وأضع الكثير من الثلج لتخفيف حدتها، أملأ الكأس إلى ما يقرب من ثلاث أرباعه، ابتسم للموجودين وأذهب إلى السلم، أصعد إلى أعلي لأجد باقي المدعوين، ردهة يتفرع منها ممرين وفي الواجهة شرفة بواجهة جنوبية، لهذا لم أرهم وأنا أدخل إلى الڤيلا، ديكور أنيق وتصميم ساذج، أجد عماد في الشرفة مع عبد الصمد الأوكراني، ومعه صديقة واضح أنها خليجية أيضًا بالنظر إلى سماكة حواجبها وشعرها الناعم الطويل، يقابلني الثلاثة بنفس الابتسامة المصطنعة، أتوجه إلى عبدالله

" حبيبي "

" خالود، إزيك يا باشا "

" الحمد لله، أنت عامل إيه "

" مبسوط طبعًا، شفتك مرتين في يومين "

يضحك على المنافقة الصغيرة الساذجة

" دي أختي، سمر "

" هاي إزيك "

" هاي خوليو "

" مبسوط إني شفتك "

" أكييد و أنا كمان "

أشعر بالفخر بنفسي جدًا " ماشي أوزع نفاق والناس مبسوطة وزي الفل، للدرجة دي أنا كنت سكسي وأنا مش عارف "

يقاطعني عماد

" أنت أجازة بكرة "

" آه، لحد دلوقتي محدش كلمني وقاللي في حاجة تستدعي أنزل "

سمر تتكلم

" أنت بتشتغل إيه"

" محاسب "

" شغلانة رخمة جدًا "

" قصدك إن أنا رخم يعني ؟"

تضحك

" لا مش قصدي، بس التعامل مع الأرقام والإكسل حاجة مش ظريفة خالص"

" أكيد، شغلانة مش سكسي خالص "

تبتسم مرة أخرى

" أكييد "

يستكمل عماد

" بنفكر نروح السخنة بكرة صد رد كدة، ماتيجي "

" حتسافروا امتى ؟"

ينظر إليّ عبد الله

" تمانية تسعة حاجة كدة "

" طب حكلمك بدري وأقولك، عشان احتمال يبقي عندي مشوار كدة"

عبد الله

" مشوار إيه يا عم، نفّض وتعالى "

" أكيد أنا نفسي أنفض لأمه بس نعمل إيه بقى، عائليات "

" لا لو عائليات روح طبعًا "

" بدري حقولكوا، أو لو جالي تليفون دلوقتي أكيد حقول "

سمر

" يا ريت، عايزين نكون جروب كويس كدة"

سفر، الميزانية مكنش فيها سفر، أساسا هي كان إمتى فيها سفر أساسا ؟ آخر مرة سافرت كان مع أمي مرسي مطروح وكان من خمسة وأربعين سنة، وآخر مرة شفت البحر كان في جرد محلات إسكندرية، وشفته من شباك العربية بس كمان، الحياة بقى ليها لون تاني

عماد

" أنت يا عم مالي كاسك وشايفنا ماسكين كوبايات فاضية، طب اعزم"

" ما أنت المفروض تعمل بار تحت وفوق، الخدمة مش قد كدة خالص، ولا إيه يا سمر"

تضحك

" آه فعلاً يا عماد إيه دة ؟"

" قوليله حاجة، يسيب حتى إزازه بيرة فوق "

تضحك هي وعبد الله، أشعر بكم كبير من السذاجة في الهواء الليلة

" طب احنا نازلين يا خوليو "

" وأنا ححصلكوا من البلكونة "

عماد

" تستنينا ولا تيجي معانا يا سمر "

" لا أنا نازلة "

أتركهم وأنظر من الشرفة التي تطل على حديقة في منتصف العمران الذي يطوقها، لقد بدأ يذوب الثلج، أبدأ في تجربة عملية الشرب مرة أخرى، آخذ رشفة كبيرة، ليس مر أو حلو، أحاول أن أستمتع به، أو أقنع نفسي بأنه جميل، ملأت الكوب كثيرًا حتى لا أضطر أنزل مرة أخرى، أصنع مشهد سينمائي مشهور وأنا أسند على سور الشرفة ماسكًا كوب الخمر وأحدق في الفضاء، ليستكمل المشهد السينمائي بصوت من جانبي

" مش شايفه آبسينث يعني"

ألتفت، بنصف رأسي بطريقة سينمائية، بالطبع هادية

" ما أنا قايلك عندي في التلاجة كتير، حيبقي برة و جوة ؟ "

تبتسم ابتسامة لطيفة جدًا على قلب أي رجل بالغ، ترتدي بنطلون جينز و بلوزة بيضاء لا أركز في المكتوب عليها بالأحمر، وأحمر شفاه قوي، إذا أردت في شرح تفاصيلها فسأحتاج إلى كتابة رواية أخرى، واضح أنها تهتم بتفاصيل التفاصيل، أعشق الفتاة التي تستغل كل إمكانيتها لعرض مواهبها بصورة غير مبتذلة، لا تظهر أي شيء ولكن تجعلك تريد أن تلتهمها، على عكس سمر التي كانت ترتدي ملابس أنيقة، ولكنها تمتلك ما لم تملكه أفروديت في كارتون مازنجر، طالما هي في الغرفة مهما حاولت أن تنظر في مكان آخر عيناك تلاحقهما، أفضل بالطبع ستايل هادية

" عاملة إيه"

" كويسة، وأنت "

" أنا أكيد مبسوط"

" ليه ؟"

" عشان شفتك تاني "

" بكاش "

" هو مين يشوف القمر وما ينبسطش"

" لو أنا قمر في كواكب ونجوم تحت في الحفلة "

" الكواكب والنجوم كتير، لكن أنا زي الأرض، ما ليش غير قمر واحد اللي في سمايا "

تنظر إلى الكوب

" هو دة الكاس رقم كام "

" والنعمة أول واحد "

" أومال أنت كدة لوحدك "

" من قبل أي خمرة أو كاس"

تبتسم

" أنت بتشتغل إيه "

إيه حكاية السؤال دة الليلة، أنا كدة جاي معرض توظيف

" محاسب "

" امممممممم "

" امممممممم دي كويسة ولا وحشة "

" مملة ممكن "

" أكييد أرقام وريبورتات وإكسيل "

" واللي بيشتغلها تحس إنه ممل "

" أكييد سئيل ورخم ودمه واقف "

تضحك

" أنت زياط كدة وبتقول أي كلام "

" بهزر عادي "

" متجوز ؟"

" ولا خاطب "

" ليه ؟"

" ملقتش فتاة أحلامي "

" ودي عاملة إزاي وأنا يمكن أدور معاك عليها "

" حلوة زي نادية لطفي، رقيقة زي مريم فخر الدين، هادية زي فاتن حمامه، ظريفة زي زينات صدقي "

" ودي حتجيبها ألوان منين دي"

" ما عشان كدة ما اتجوزتش "

" طب ما تدور على نسخة حديثة "

" اللي هيا إزاي"

" حلوة زي هايفة، رقيقة زي نانسي، هادية زي زينة، ظريفة زي مي عز الدين"

" وأقعد بقية حياتي أتعالج من ارتجاع في المريء "

" يعععع "

" أومال اللي أنتِ بتقوليه دة إيه، دة قمة اليععع "

" عندك حق"

تبتسم

" أنا بحب الأفلام القديمة أكتر من الجديد "

" وأنا كمان، كانت المشاعر خام، لسه مابقيتش مصطنعة "

" حكيم يا إخواتي "

أبتسم ببلاهة

" أنتِ عارفة أنك بتقولي يا إخواتي زي شويكار "

تبتسم وتهز رأسها بالنفي

" وأنت عارف أنك جايب على عادل أدهم "

تقاطعني

" لو قلت لي يا قطة حسيبك وأنزل "

" لا طبعا، يا كلبة "

تضحك وهي تنظر إليّ باندهاش

" أنت أخدت عليا قوي ولا إيه "

" لا يا أفندم أكييد لا، أنا بزيط بس "

تضحك لحظة ونسكت

" طب أنت عارف أنا متجوزة ولا لا "

أنظر إليها بتركيز لدقيقة، وعيني تنظر إليها من رأسها إلى قدميها، كأنني أحللها، مما شد انتباهها

أشير بأصبعي ناحيتها متقمصا دور شارلوك هولمز

" أنتِ متجوزة أكيد، بس واضح أنك مش سعيدة في جوازك "

ينعقد جبينها لحظة

" وأنت إيه اللي عرفك كدة ؟ "

أنظر إليها بنفس الاهتمام، وبنظرات متفحصة

" أصل في حاجة واضحة جدا بتبين دة "

تنظر باهتمام

" إيه هي "

ابتسم في بلاهة

" سألت عماد وهو قالي الصراحة "

تنفجر بالضحك وتنظر إلي

" أنت مصيبة "

" تشكرات تشكرات أفندينا "

ثم تبتسم للحظة

" بس عماد إزاي يقولك حاجة زي كدة ؟"

" عماد صاحبي جدًا، وأنا سألته بعد الحفلة وهو قالي"

أنظر إليها واستطرد

" أنا كان ممكن أعمل عبيط وما أقولش حاجة، بس أنا صريح وواضح"

" ودي حاجة أحترمها "

" طبعًا الصداقة أو المعرفة، لازم تكون واضحة ويكون كل واحد عارف هو عايز من التاني إيه "

" كلام صح أكييد "

أميل ناحيتها

" أعتبر نفسي معرفة ولا صداقة بالنسبة ليكي "

تبتسم

" امممممممممممممم"

" إيه"

" معرفة داخلة على صداقة "

" ودي أجمل منطقة يحب يكون فيها أي شخص، خفيف كدة يجي ويروح "

تبتسم

" أنت مسخرة "

" شكرًا يا أفندم "

نشرب ما بين أيدينا، ونسكت للحظات

" عماد بيقول لي إنهم احتمال يسافروا بكرة العين السخنة، أنتِ رايحة ؟"

" ما أعرفش، ممكن .. ليه أنت رايح ؟"

" احتمال"

تنظر إلي بابتسامة مغرية

" ولو أنا رايحة أنت حتيجي ليه ؟ عشان تبقى صداقة !"

" لا طبعًا "

واستطرد ..

" أنتِ قلتِ معرفة داخلة على صداقة، داخلة دي مش عاجباني، فعايز اسنترها شوية "

تبتسم

" خلاص رايحة "

" وأنا رايح "

تبتسم ابتسامة غامضة

" بس يا رب تكون بتعرف تسنتر "

أنظر إليها وأغمز بعيني كأي سرسجي

" وبجيب إجوان كمان "

تضحك وهي تضع يدها على شفتاها، وعلى هذا المشهد، يدخل عماد

" إيه يا دودو، أنتِ اتعرفتِ على خوليو الكوميدي "

" إيه دة، أنتَ دلعك خوليو"

" ما حصلش، دة هو الوحيد اللي بيقولي كدة "

" أومال دلعك إيه "

" قولي لي يا بيبي "

تضحك هي وعماد وأنا معهم، ونتحدث ثم يأتي عبد الله وأخته وبعض الأصدقاء، أمضي معهم ساعتين وأرحل بعد أن أخبر عماد إنني سأذهب معهم، ونتفق على الزمان والمكان، هم سيذهبون أولاً، ثم بعد ذلك أذهب أنا وعماد، وأتفق معي عماد على كل شيء، لم تكن التكلفة كبيرة، نظرًا لأنهم يمتلكون الشاليه الذي سنذهب إليه،

لم تكن هناك تكلفة سوى إنني سأشتري 300 زجاجة بيرة قلت لعماد أن يبتاعهم بالنيابة عني

أرحل وأركب سيارة أجرة، إلى البيت

لحسن الحظ كنت أشتريت بعض ملابس " روشة " و أشتريت مايوه لا أعرف لماذا، ربما لأنني لم أمتلكه من قبل، نزول المصايف العامة في مصر لا يحتاج إلى مايوه أساسًا

ولكن ها هي الفرصة لكي أجرب كل شيء

كانت سامية قد نامت هي وأمي، أعددت ملابسي في الدولاب ودخلت للنوم،

غدًا، كم أنا سعيد بك

****

صوت المنبه...

أغلقه، ثلاثين ثانية من الهدوء وأبدأ في الاستيقاظ، السادسة والنصف صباحًا، لكنه يوم مختلف

أستيقظ بكل نشاط، كأنني سألعب نهائي كأس العالم

أخرج ملابسي، أمي تأتي تجدني أعدها

" إيه دة ؟، أنت رايح فين ؟"

" مسافر مع زمايلي في الشغل، حنروح السخنة يوم ونيجي"

" والشغل "

" إيه ماله ؟، حيقفلوا عشان أخدنا أجازة ؟"

"لا مش قصدي، سافر وانبسط، دة أنا ما صدقت"

" ماشي يا حاجة "

" وحتسافر إزاي "

" بالعربيات "

" خليهم يخلوا بالهم من السكة وبلاش سرعة "

طبيعي أي أم

" لا ما تخافيش يا حاجة دي ناس هادية وفيهم ناس بدقون "

" طمنتيني يا ابني"

على أساس إن الذقن تمنع السرعة، أو ضد قانون نيوتن الأول

استكمل ترتيب ملابسي

اللعنة

لا يوجد شنطة تليق بمحاسب من مدينة نصر يعمل في شركة كبيرة،

الهاتف

صوت محشرج

" ألو"

" صباح الخير يا عم عماد "

" إيه البدري دة "

" أصلي كنت بحضر الساندوتشات فقولت أشوفك عايز حاجة معينة، ساندوتش مش، شقة مفتقة، كبسولة رنجة"

" عايز إيه يا بني آدم على الصبح "

" حقابلك إمتي يا عم أنت ؟"

" تسعة، حعدي عليك "

" أخلاق أخلاق أخلاق "

" لا أنا عايز أجيب حاجة فقولت بالمرة أعدي عليك "

"برضو أخلاق أخلاق أخلاق "

" ماشي "

" بقولك "

" إيه "

" عايزك تجيب لي معاك شنطة "

" لا، هات حاجتك "

" ماشي، أنا قولت بس بدل ما أدخل عليهم بشنطة محلات الإيمان والملحد، بس أنت شكلك عايز كدة "

" تصدق إن أنا غلطان "

" ما أنا عارف "

" حجيب لك حاضر "

" لونها إيه ؟"

" تيييت تيييت تيييت "

قفل الخط، لم أفعل معه ما أريد

أنظر خلفي، سامية تمر من الطرقة إلى الحمام، ترمقني بطرف عينيها في غضب واضح، لا أعرف ماذا أفعل معها

أفطر، ثم أجلس قليلاً وأستعد نفسيًا، آخذ دش جيد، الليلة قد تكون ليلة تاريخية

أضع ملابسي في كيس وأنزل،

نفس المكان، تلك المرة كان يرتدي ملابس رياضية زاهية، وأنا أيضًا

" يعني يوم ما أحس أنك ابن ناس، تجي لي شايل هدومك في كيس "

" يا عم أنت مش جايب الشنطة ؟"

وأنا أركب وأضرب عيني في السيارة، لأجد شنطة سوداء

" ما هي يا عم الشنطة سودا وجميلة "

" ماشي يا سيدي، ناسي حاجة "

" لا إن شاء الله مش ناسي "

" طيب "

يقود عائدًا من حيث أتى إلي طريق العين السخنة

" ها .. مين جاي ؟"

" أنا وأنت وعبد الله "

ويسكت

" أوففف استني يا عماد، دة عيد ميلاد أمي النهاردة، لف ورجعني والنبي "

ينظر إلي مبتسمًا

" وهادية "

" وإحنا الثلاثة !!! "

" وسمر وهيام "

" طيب خلاص كمل، لما أرجع أبقي أجيب لها قميص نوم زركشة من عند التوحيد والنوم "

" وأنت أمك يا خالد ليها عيد ميلاد "

" أيوة طبعًا يا عم أنت بتهزر ليها وعيد ميلاد كبير "

" دة اللي هو النهاردة "

" عارف يوم تعامد الشمس على تمثال إخناتون في معرض الكرنك "

" معرض..... الكرنك معرض"

" عارفه يا عم؟؟؟ "

" آه يعني "

" أهي أمي بتتعامد معاه "

" ليه أمك اسمها إيه "

" رشا – تون "

" سخافة أهلك "

" ما أنت بتتريق على أمي قولت أفقعك، وأكيد أمي ليها عيد ميلاد "

" ما تزعلش يا عم، اعتذراتي للملكة رشا-تون "

"مقبول يا عم "

نسكت خمسة دقائق متأملا الشوارع

" هما جايين معانا "

" لا هما طلعوا من ساعة "

" طيب كويس "

واسكت دقيقة

" وحنرجع إمتي؟ "

"بليل، بكرة، ليه وراك حاجة "

" ولا قدامي يا عم "

دقيقة أخرى

" طب بقولك "

" هاااااا "

" هي فيلا كبيرة ؟"

" ثلاث أوض "

" مش كبيرة لا، زعلتني "

" معلش "

نسكت خمس دقائق

" هي مين هيام دي ؟"

" صاحبتنا "

" كلكم ؟ "

" صاحبة عبد الله أكتر "

" آه قول كدة "

نسكت ثلاثين ثانية هذه المرة هو من يتكلم

" خالد "

" أيوة يا عماد بيه "

" أنا حنام مع سمر "

" ليه هي بتخاف تنام لوحدها "

" وحنام معاك على الصحراوي في السكة "

" كان نفسي، بس التبول اللا إرادي مبهدلني "

" كويس إنك قلت لي عشان أقول لهادية "

" بس ركبت محبس ألوميتال منظم كل حاجة دلوقتي "

" استريحت "

اسكت

" عبد الله حينام مع هيام، وأنت حتنام مع أخته، وهادية صعبانة عليا، حتقعد لوحدها "

ينظر إلي وهو يبتسم

" تحب لما أخلص أجيلك "

" شكلها كدة يا عماد، بدايتها بسكلتة "

يضحك و ينظر إلي وهو يرتدي نظارة الشمس

" أنت عايز إيه يا خالد "

ألتفت وأجلس تجاهه

" عماد ..... كلمني عن الجنس "

" الجنس جميل "

" أنا مابقولش كلمني عن ابوك "

" أنت عايز تعرف إيه "

" إيه اللي عايز أعرف إيه، عايز أعرف كل حاجة "

" زي إيه "

" مش عايز يا عم أنت حتقفلني ليه، يا رتني كنت جبت كتاب ب اتنين جنيه من العتبة كنت بقيت زي الفل "

" كتاب إيه دة سلاح التلميذ"

" كيف تمارس الجنس مع فتاتين في ليلة واحدة "

" دة كدة جروب ليسبيانز "

" ما أنت مش لازم أقولك فصلي، كلمني عن الجنس، دة سؤال عام "

" قصدك تعمل إيه النهاردة، لو أخدت البت الأوضة "

" أيوة، اتفضل "

" بص يا سيدي "

" هاه "

" البنت محتاجة الرجل اللي يحسسها إنه راجلها "

ارفع صوتي

" إيه يا أسامة، إيه يا أسامة يا منير، ما تقولي حسسها بأنوثتها وملسلها على شعرها وأقولها شايفة البحر شو كبير "

يضحك

" ما أنا مش عارف أقولك إيه، بص أنت مش داخل على واحدة بنت بنوت، هي حتعمل وأنت اتفرج "

" البق دة محسسني إنني في الآخر حنام مع عبد الله"

أعود للنظر أمامي وأشرد

" أبو شكلك، بوظتلي الليلة "

يضحك وهو ينظر إلي وأنا " قرفان "

" يا عم ما تكبرش الموضوع "

لا اتكلم

" طب بص، أنا حرسيك "

" اتفضل "

" الجنس للست مش زي الرجل، سخن كويس وكتير، حتبسطك، اقلبها وخش في الموضوع حتقرفك "

" وأنا المفروض أجمع اللي أنا قلته دة "

" بص، شفت افلام ابيحه قبل كدا"

" سكس قصدك، طبعا "

" يا سلام عليك يا هارشهم "

" طبعا يا ابني، امال جايب كمبيوتر العب فيه حرب امبابة "

" طب ما انت وحش اهوه "

" عماد "

" ايه "

" انت بتزحلقني في الحوار دا "

" اه صراحة "

" خلاص سيبني وأنا حتصرف "

" طب مكان من الاول "

" قلت اسئلك يمكن يكون عندك جديد "

" ماشي يا سيدي "

ندخل علي طريق العين السخنة

" احنا قدامنا اد ايه ونبقي هناك "

" ساعة "

" طيب "

" مبسوط يا خالد "

" أكيد "

" تخيل ماكنتش سمعت كلامي، كان زمانك لابس طقم التوحيد والنوم وقاعد تحسب الشركة اشترت كام لباس "

" خلاص يا عم، عرفنا، بلاش زيطة "

" ماشي يا عم، بس خليك فاكر أنت اللي بتعمله دة بتعمله ليه "

" فاكر "

" ضميرك وجعك بعد الخمرة "

" صراحة، تقريبًا لا "

" تعتقد ليه ؟"

" مش عارف، أنت عارف؟ "

" ممكن ما أخدتش منها اللي أنت عايزه "

" ممكن "

اسكت لثانية

" مش عارف، أنا أنبسطت ، بس مش عارف ليه محستش بالندم "

" عشان إيمانك ضعيف، محتاج وقت "

" إيماني بإيه إن شاء الله "

" بالذنب "

" ذنب إيه "

" الذنب اللي يخليك تشعر بالندم، وتطلب الغفران "

" الناس كلها بتطلب الغفران "

" بتطلب ربنا يغفرلها لأسباب مالهاش علاقة بالايمان، طمعًا في رزق، أو لو أصابتهم مصيبة، خوف من عقاب، لكن ندم على ذنب، مش أي حد يروح لربنا بيها "

" وأنا اللي مابعملش ولا حاجة في دول، حروح على دي علي طول "

" أنت فاهم كل حاجة، مش محتاج تضحك على نفسك "

" ماحدش بيعرف ضميره فيه إيه"

" قصدك ماحدش بيدور ضميره في إيه، دة أسوأ حاجة في الدنيا، أنك تواجه ضميرك "

" ليه؟ ما أنت مواجهه "

" مين قال لك، أنا عايش حياتي أتفاداه "

" هو إيه ؟ الضمير !!"

" جرب صور نفسك فيديو أسبوع كامل في حياتك، في كل حاجة بتعملها، أكل شرب معاملات سكر حريم صلاة، واتفرج بعد كدة عليه، حيبقي أسوأ فيلم رعب تشوفه في الدنيا، وأكيد مش حتكمله "

يخرج سيجارة ويشعلها

" أنت لو شفت نفسك بعينيك، حتتجنن أنك أنت بتعمل كدة "

" أنت مكبر الموضوع يا عماد "

" جرب اتفرج على نفسك وأنت بتتكلم مع حد، حتلاقي نفسك غير ما أنت شايفها"

يسكت لحظة

" أومال أنت ليه فاكر يوم الحساب حنشوف حياتنا كلها بتمر من قدامنا، عشان تعرف قد إيه أنت حقير يا خالد "

وينظر إلي

" أنت حقير يا خالد "

" وأنت ابن كلب يا عماد "

" شكرًا يا خالد "

نسكت ثانية، ثم نضحك سويا

" بالمناسبة، أنا عامل حسابك وجايب condoms كتير يا عم، هيص"

" تشكر يا عرب "

" وجايبلك Delayكمان "

" ايه delay دا "

" اسمه مبيفكركش بأي حاجة "

" Delaaaaaay"

" ايواااااا، ما انت شاطر اهوه "

" بس أنا مش محتاجو "

" ليه يا وحش"

" أصلي مش مستعجل على حاجة، أنا رجل صبور "

" انت كنت جربت قبل كدا "

" اتفرجت بس "

" خلي معاك يمكن تفرط منك ولا حاجة "

" تفرط "

" اه و المواضيع تبقي بسرعة "

" اه وممكن تخدني مخالفة "

" والقيك طالع من الاوضة معلق مخالفة على البرابريز "

" يا ريت تبقي في البرابريز مش حتة تانية "

يضحك تلك المرة ضحكة عالية، ليست معتادة

" عجبتك يا خويا "

" آه صراحة، الميزة الوحيدة اللي فيك، أنك ساعات بتبقي كوميدي "

" سوق طيب خلينا نشوف آخرة المشي وراك فين يا عم الشيخ "

" إن شاء الله خير "

" منين دة ؟، اذا كنا رايحين نعط "

" يا ابني سكتي كلها مكسب "

" ما أنا شايف أهو، على الله المرحلة اللي بعديها تجيب عبد الله ينام معايا "

" عيب عليك، وأنا أضيع الفرصة دي على نفسي "

ابتسم، ويعطيني علبة سجاير

" خليها معاك "

" شكرًا "

نستكمل الرحلة، حتى نصل إلى هدفنا، قرية سياحية، أو منتجع، مش مهم نصل إلى هناك، يقود داخلها حتى نصل إلى شاليهات أو فيلات، لا أهتم بالمسميات، المهم المضمون،

" وصلنا "

" لا والله "

" يلا "

نمشي حاملين حقائبنا حتى نصل إلى الڤيلا، " شكلها ڤيلا "

يرن الجرس، ثلاثين ثانية وتفتح الباب أڤروديت " سمر " مرتدية " شورت حار " فوق مايوه، إذا ارتدت نقاب فسيظل صدرها مزار سياحي لكل رواد البحر الأحمر

" هاي، اتأخرتوا ليه "

" سي خالد يا ستي، معلش بقي "

يقبلها و يدخل، فتنظر إلي

" ينفع كدة يا خوليو "

" معلش بقي، حعوضهالك "

أدخل القيلا، أنيقة، بسيطة، جميلة

" إحنا كنا لسة رايحين البحر "

عماد يعطيها حقيبتين كبار في يده

" حطي الحاجة في التلاجة "

تنظر داخلها

" واو "

تأخذهم وتسير، دقيقتين ونسمع ضحكة، عبد الله والمدعوة هيام ينزلا السلم

" إيه يا عم أنت وهو التأخير دة "

أرد تلك المرة

" معلش التأخير عليا "

هيام، " كدة عندينا اتنين أفروديت، بس المرة دي واحدة بيضا "

" هيام، أعرفك خالد "

" أهلا وسهلا فيك "

أفروديت من الشام،

" يا أهلا بيكي "

تلك الابتسامة البلهاء التي تجعل كل من يصافحني يبتسم، سواء أراد أم لا

" يلا بينا على البحر "

يضع يده على كتفاها وينطلقان من الباب الأمامي للڤيلا، أنظر إلى عماد

" هما إخواتنا أهل الشام عندهم المقاس دة، ولا هو طالبها سبشيال اوردر "

" بفلوسه "

" على رأيك، معا انو لو كان قالي، كنت نزلت جبتلو واحدة من الموسكي ملعب نازلا باتنين Sand bagهدية، ومكنتش حتكلفه خمس دي "

ينظر إلي لحظة

" أنا واخدك مؤدب، ومكنش في الكونتركت اللي بينا أنك تبقي سافل "

" معرفتك طلعت الوسخ اللي جوايا "

يبتسم

ثم تظهر

ترتدي بكيني، القطعة العليا بيضاء والسفلي تركواز، ساحرة في كل شيء

ابتسامتي البلهاء

" إيه إيه إيه "

تبتسم باستغراب

" إيه "

" هو أنتِ إمتى مابتبقيش حلوة ؟ "

" كتير "

" يعني أنتِ ممكن تكوني دلوقتي كدة و مش حلوة "

تبتسم

" كفتجي "

" اللي أنت عايزاه "

" إزيك يا عماد "

كان هو يضع الشنط ويشعل سيجارة، وأتى حاملاً زجاجة بيرة، يسلم عليها وتقبله في وجنتيه، " وأنا جاي أتفرج بس "،

" إيه مش جايين البحر "

عماد يرد

" اسبقينا واحنا حنلبس ونجيلكوا"

أنظر لها

" آه روحي عشان عماد حيساعدني ألبس المايوه "

تبتسم بمرح وتضيف

" طيب..... ربنا يوفقك يا عماد "

وتذهب من نفس الطريق خلف مازنجر والأفروديتين

فأضيف وعيني تلاحقها

" ربنا يكرمك وأنت اللي تقلعهولي "

ينظر إلي رافعًا حاجبه

" أنت روحت مني خلاص "

" مش أنت اللي قلتيلي لازم تروح لأحمد الشيخ عشان ترجع للشيخ وعملتلي فيها علي جمعة "

" أيوة بس أنت كدة رايح لطارق الشيخ بشغل البوابين اللي بتعمله دة يا بابا، امسك نفسك، اتقل "

" حاضر "

يصطحبني إلى غرفة، ألبس المايوه المزركش مثل سجادة جدتي، وأنزل دقيقة، وينزل هو الآخر

" واو، دا خوليو صاحبي اللي أتشرف بيه "

" يلا يا بابا "

لم يكن باب للأسف، لكنه باب البلكونة يطل على جنينة تطل على البحر، نأخذ آيس بوكس به زجاجات بيرة، يضرب هواء البحر وجهي، أخرج زفير حرمان سنين من لقاء البحر، مدفون كنت بين الفواتير والدفاتر والإكسل

" عماد "

" هاه "

" شكرًا على كل حاجة "

يبتسم

" العفو، متقولش كدة، أنا مستمتع بصداقتك يا خالد"

وينظر إليَّ ونحن نسير

" أنت مسلي برضو "

" كويس إنك لقيت فيا حاجة كويسة "

يضحك ضحكة صغيرة

" مسخرة "

نسير ببطء كموج البحر الأحمر

" الحمد لله أنا الوحيد اللي معايا واحدة طبيعية بدل مرضعات الشيطان التانيين "

" بس يا ابني أنت، أنت لسه حتى ما أقنعتهاش بنفسك "

أقف وأوقفه، أفتح الآيس بوكس وأسحب زجاجة بيرة

" حتقتنع "

وأفتحها وأشرب بينما هو يتحدث بصوت منخفض " أكيد بيشتمني ويشتم نفسه" مازنجر وأفروديت في البحر، سمر تنتظر عماد، هادية تتمد على كراسي البحر أو كنب البحر "

أذهب إلى الكرسي الذي بجانبها وأجلس وأخرج زجاجة بيرة، أناولها إياها تنظر إلي وتأخذها بابتسامة أجمل من البحر ذاته

" اتقل " صوت عماد داخلي يرن

أتمدد جانبها، بحر، سماء، بيرة ونساء، جنة الأرض التي تصحبك إلى جحيم الآخرة لا أتحدث، أتركها حتى تفتتح الكلام

" ساكت ليه ؟"

" بنبسط يا أخت هادية "

" مممم، سوري إني قطعت عليك انبساطك "

" وجودك جنبي عامل أساسي في الانبساط"

" زي البحر مثلاً ؟ "

" لا..... أقرب للبيرة "

" أو الآبسينث "

" خلاص بقى، أمي فضّت التلاجة "

" وحطت مكانه إيه ؟"

" عناب "

" مممم "

صوت البحر وصوتها يجعلاني أشعر بالنشوة أكثر سرعة من كؤوس الخمر التي شربتها من قبل

" إيه أكتر حاجة بتبسطك يا خوليو ؟"

" مش عارف، أنا ما بنبسطش بسهولة "

" ليه ؟"

" شغلي وحياتي خلوني عملي زيادة عن اللزوم "

" يعني ما فيش حاجة بتبسطك قوي ؟"

" ماعنديش حاجة معينة، أنتِ إيه أكتر حاجة بتبسطك "

" أنا !! "

إيه الاستعباط دة ؟ أي حد بيسألك سؤال بيبقى مستني تسأله نفس السؤال، حتعملي مندهشة ! طب أنا حزيط

" آه، قولي لي إيه الحاجة اللي بتفجر جواكي الانبساط "

تفكر لثواني ...

" تصدق ! .. مافيش حاجة برضو "

" شفتي! أدينا شبه بعض"

" ودي حاجة وحشة "

" أكيد أي حاجة تشاركها مع البكيني دة مش وحشة "

تضحك وتقوم من على الأريكة البحرية

" إيه أنتِ فهمتيني صح ؟"

ينعقد جبينها وتبتسم

" إزاي "

" حتديني البكيني "

تضحك

" مش دلوقتي"

وتنظر إلي

" أنا نازلة البحر "

" أنا قاعد شوية أستمتع بالجو "

" enjoy"

تبتعد وأنظر لها

" البت وقعت، وقعت، دي واقعة من زمان "

لن أنزل للسباحة، على الأقل ليس وجميعهم في البحر والواضح أن الجميع يسبح بمهارة، أنا من مدرسة عوم الترع والمصارف

سجائر، زجاجة بيرة تانية، دغدغة العقل اللطيفة، هم في الماء أكثر من نصف ساعة تخرج هي أول واحدة،

"إيه رايحة فين ؟"

" الأوضة "

" تحبي آجي معاكي ؟"

تنظر إلي وتبتسم

" أنت شايف إيه ؟"

أقف وأضع يدي بكل جرأة على كتفها

" ماعنديش أوبشن تاني "

نذهب إلى القيلا سويًا، نصعد إلى أعلي،

" حاخد شاور وأجي لك "

" مستنيكي "

بدون زجاجتين البيرة، لك أن تعلم عزيزي القارئ أن هذا الموقف لأي شخص مقبل على هذا الحدث، مثل انتظار نتيجة الثانوية العامة أمام الكمبيوتر على الإنترنت وبجانبك أبيك يداعب شبشب الحمام كأنه قط صغير منتظر انتهاء كلمة " جاري تحميل النتيجة"

لا أعرف ماذا عليّ أن أفعل، أخلع التي شِيرت الذي أرتديه وأتمدد على السرير واضعًا قدمًا على الأخرى عاري الصدر أنتظرها،

ماذا سأفعل؟

أخرجت هاتفي، أقوم بتشغيل مشغل الأغاني " ليستر يونج سيكون أنسب شيء لتلك اللحظة، I can't get it started "

أقف على الأغنية وأنتظرها

خطوات أقدام، تفتح الباب مرتدية فوطة الحمام البيضاء، شعرها مبلل كحورية خرجت من البحر

تجلس على أول السرير تجفف شعرها بفوطة أخرى، هي اللحظة

أشغل الموسيقى، وهي تعطيني ظهرها، وأبدأ في تقبيل كتفها الأيمن، طعم لحمها مع ماء البحر أطيب من أي شيء تذوقه فمي من قبل، حين تسمع الموسيقي تتنهد تنهيدة رضا وإعجاب، تترك الفوطة جانبًا، ألمحها تغمض عينيها، فأبدأ في خلع الفوطة عنها لتصبح جالسة كالتماثيل الرومانية القديمة، كذلك هي، لم تخلق من طين، بل صنعت

من عاج، انحناءات جسدها المثالية، جسدها البارد من الماء والبحر الذي كلما قبلت جزء منه ينفجر بالدفيء، عظامها التي تكاد تراها من لون جلدها الوردي، أنتقل من كتفها الأيمن إلى الأيسر وأنا أداعب ظهرها وأدلكه بخفة، تكاد من رقتها أن تشعر أن جسدها من زجاج، تخاف أن تضغط عليه فينكسر، ثم أصعد إلى رقبتها فتحركها لتعطيك أكبر مساحة للتقبيل، أسمع آهة خفيفة تصدر من داخلها تنتهي قبل شفتيها، أقبل أذنها فتبتسم ابتسامة خفيفة وتحرك رأسها قليلاً بخفة لكي تبعد أذنها عن شفتي فأطاردها، فتعاود الابتسام، تلك المطاردة الأعذب في التاريخ، حتى تضحك وتلتفت إلي فأنظر إلى عينيها، ووجهها للحظة، ثم تقبل هي شفتي، فتنقل ذلك اللهيب الذي بداخلها إلى داخلي، انفجار دافئ داخلي، يدفن برود قلبي ويخرج البرد من عظامي المتهالكة، ليدب الشباب فيها مرة أخرى، لن أتذكر كم قبلة قبلتها، أمسكها بذراعي لتنام على ظهرها،

ثم ...

ينتهي الوعي

****

الفصل الحادي عشر

الجانب المظلم من القمر

مازال هو يُرسل طمعًا في الإجابة

ومازالت هي لا ترد

والحياة لم تقف

لهذا لم يفقد هو الأمل

حتى الآن

****

الساعة الثامنة والنصف

مساء

أركب السيارة مع عماد في هدوء، بينما ينظر إلي مبتسمًا

" قولنا حنبني وآدينا بنينا السد العالي "

ويضحك وهو يغني

" إيه حاسس بإيه يا وحش "

" أنا سعيد جدًا بمعرفتك يا أستاذ عماد الدين "

" لا واضح، عملت إيه "

" عملت اللي ماعملوش أبويا وأبوك "

" اللي هو؟؟؟؟ "

" نمت مع واحدة حلوة "

وننفجر في الضحك كلانا

" لا يا عم أنا مأي حلوة "

" وأنا أمي رشا- تون، أكيد حلوة "

" بيت أم آتون يا عم "

يسكت للحظة لنأخذ نفسنا من الضحك

" واستخدمت Delay"

" كان نفسي أرشه على الساعة والوقت"

" أوبا يا خوليو وأنت شاعر "

" شاعر بوساخة "

" وحاسس بإيه دلوقتي "

" بعد الجنس ؟"

" أيوا، حاسس إنني عايز تاني "

" مش ندمان ؟"

" قالك الواحد بعد ما ياخد اللي عايزه من الست بيحس بندم "

" وأنت حاسس بندم ؟"

" اللي قال الكلام دة بجم "

" يعني مش حاسس بالحرام "

" أكيد جوايا حاجة بتزن، بس شوية وحتسكت "

يسكت مركزا في القيادة الليلية إلى القاهرة

" قالك لازم عشان توصل للشيخ، تروح ناحية أحمد الشيخ، أدينا خرمنا أحمد شخصيًا "

" لما تفقد اللذة حتندم "

" مش عارف يا عماد "

" حوديك للشيخ ماتقلقش "

" أنا مش قلقان، إيه أقصى حاجة ممكن تحصل "

" ما فيش "

" بالظبط "

بدأت أخاف، لأنني أصبحت لا أخاف من شيء

ما اكتشفه داخلي أصعب مما كنت أتخيل

يقود إلى القاهرة ونعود كل منا إلى بيته وحياته

ولا شيء يصاحبني سوى الخوف،

من أنا ؟

من أصبحت ؟

لا أعرف ..

حقا لا أعرف

****

يمر شهر...

ويتغير الحال عن المعتاد

أصبحت أراه مرتين أو ثلاثة أسبوعيا، وأنام مع هادية كلما طلبتني، أرتدي ملابسي كأنني متوجه إلى العمل، ولكن أذهب إليها من أجل سعادة لن أجدها في أي امرأة أخرى

بعد أسبوع تسافر إلى زوجها مع أبيها لتسوية العلاقة، لتظهر غيرها، أيضًا صديقة أخرى لعماد، لم أصبح مدمنا لمخدرات أو خمر، بقدر عشقي لجسد المرأة

ويبدأ شعور القلب بالملل، لا ندم

مجرد ملل،

أعود إلى البيت كل يوم

لا أتحدث أنا وسامية التي قد مد زوجها الرحلة شهرًا آخر

لعله هو أيضًا يخونها، لا أعرف ولا أحكم

الحياة والغريزة يتحدان في الملل

أذهب إلى عماد بعد شهر لنجلس في الشرفة، بكؤوس الفودكا

" إيه يا خالد، مالك يا ابني "

" مش عارف يا عماد، فعلا مش عارف "

" ما جربتش تستغفر من ذنب ؟"

" أنا مش حاسس بالذنب أساسا، أنا ميت يا عماد "

" لا أنت مش ميت، أنت بس مش هو دة الذنب اللي حيغيرك، أنت محتاج تفهم نفسك أكتر"

" إن شاء الله"

يتركني ويدخل دقيقة ويعود مرة أخرى

" مش يمكن يا خالد أنت عايز حاجة تاني "

" بانجو "

" لا مفيش حاجة حتبسطك من الحاجات دي، أنت أكيد لو جربتها حتعجبك وتدمنها، لأنك بطبيعتك بتحاول أي حاجة لعادة بس مش أكتر "

" أمال إيه اللي ممكن يرجعني أو يغيرني تاني ؟"

" غير إن أنت تقرر من نفسك أنك تتغير، ودة طبعا الحل اللي فشلنا فيه قبل ما نروح بعيد قوي زي دلوقتي، حاجة تخليك تقرر تتغير "

" كانت هادية غيرتني "

" هاديه اديتك حاجة غريزتك كانت عايزاها، مش أكتر، أنت عايز حاجة أكبر من كدة"

" زي إيه يا عم الفالح "

يمد يده إلي وهو ضامم قبضة يده، ويفتحها لتظهر ورقة

أمد يدي، وأفتح الورقة

رقم هاتف ومن تحته اسم صاحب الرقم

" نادية "

الاندهاش يصفع وجهي بقوة

" أكيد، دة كان هدفك من الأول "

" بس إزاي "

" اللي أنت كنت فيه الفترة اللي فاتت دي كلها، هو اللي حيساعدك "

" أيوة دي واحدة منقبة، أقولها إيه رأي الشرع في الجماع بوضع الكلب "

" عشان ألخص القصة، لو هي لسة بتحبك حيحصل حوار، مين يشد مين فين، دي مش بتاعتي "

نأظر له وأنا أجمع الكلام فيستطرد

" قبل كدة لما هي قالت لك أنا حضيع منك، قعدت تلطم واختفيت، دلوقتي أنت فاهم حاجات كتير في الستات، وحنفضل وراها لحد ما تشوف، حتقولك نتجوز، ولا حتسيبك كدة، كل الحالتين ممكن يغيروك "

" فهمتك "

وأنا أهز رأسي كيونس شلبي

" طيب أنا المفروض أكلمها أقولها إيه "

" متكلمهاش وأنت فايق "

يرفع الكاس أمامي

" خلي الشيطان اللي يتكلم "

" مممممممم "

اسكت دقيقة

" هي الساعة كام ؟"

" سبعة ونص "

" أنا حنزل أكلمها تحت "

" بس ما تتأخرش، في صديقة جاية على ثمانية ونص "

" تلفون وأمشي يا عم "

أنزل إلى الأسفل أملأ كوبًا من الفودكا، بدون ماء أو ثلج، أشربه على أربع مرات

جاهز، احنا معانا طلقة واحدة، ولازم تصيب

أمسك هاتفي، الشحن ممتلئ، الرصيد يسمح بمكالمة لمدة يوم

أكشن

الرقم مشغول

مرة ثانية

كول تون أغنية للفنان المتدين سامي يونس

ولا مصطفي يونس، مش دة بتاع كرة باين

هو كان اسمه إيه

" السلام عليكم "

" وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته "

" الو "

هي إيه لازمة الو والسلام عليكم مع بعض، واحدة فيهم كفاية، هي الو أصلها كان هالو بس اعتبروا هالو طويلة شوية فاختصروها، حرف واحد طولها قوي كدا، إيه الكسل دة، هما الامريكان أصلهم أفارقة، آاااااه عشان كدة فيهم زونج زنوج زنود كتير

" الو "

" الو "

" مين معايا ؟"

واضح إنني زودت جدًا العيار، اضبط واتقل

" إزيك يا نادية "

ترد بصوت متردد

" مين ؟"

بلاش أنتِ نسيتي صوتي وناسية أيام سندوتشات فلفلة وجو الحب في الميكروباص دة

" خالد معاكي "

تصمت خمسة ثواني

" إزيك يا خالد "

" إزيك أنتِ يا نادية، وعاملة إيه "

" الحمد لله، أنتَ جبت نمرتي منين ؟"

أصمت ثانية

" مش مهم، المهم إني عايز أتكلم معاكي شوية، ممكن تديني فرصة ؟"

" نتكلم في إيه يا خالد، ما فيش كلام يتقال "

" من ناحيتك أنتِ ممكن، لكن أنا عندي كلام أقوله، اسمعيه وأوعدك إني مش حكلمك تاني "

" طب ممكن تكلمني كمان عشر دقايق، أو أنا حكلمك، مش دي نمرتك ؟"

" أكيد"

" طيب ، باي "

تيييت تيييت تيييييت

" عمااااد "

ينزل جري من السلم

" في إيه يا ابن المسروعة "

" كلمتها واديتني فرصة أقول اللي عندي، بس قلتلي 10 دقايق وأكلمك"

" كويس، دا معناه إنها حتسمعك"

" ماشي أقول إيه يا فالح "

" قول اللي عندك "

" وحياة أمك "

" ما تكلمهاش عن نفسك، كلمها عن نفسها "

" آه وأقول لها إن المستقبل مفتوح وإن الأفضل مستنيها، والأفضل دة اسمي الدلع "

" أنت شربت قد إيه فودكا"

" كوباية "

" عشان كدة مريل على نفسك "

" مريل مريل، إيه علاقته باللي بكلمك فيه دلوقت "

" بص لنفسك وأنت تعرف إيه علاقته "

أنظر إلى المرآة، نظيف وليس بي شيء، فألتفت له، فيستكمل

" أنت بتشرب فودكا، وهي بتشرب دين، بس في الآخر أنتم الاتنين عندكم مشاكل وعايزين تنسوها، لما قلتلك أنت فيك حاجة غلط صدقت على طول، نتيجة طبيعية للظروف اللي أنت فيها، وهي كمان، لو اخترعت لها مشكلة وهمية فيها هي حتصدق، مش لأن في مشكلة، بس الحالة اللي فيها حتخليها تصدق، طول ما محدش قالها بصي على المراية "

" أول مرة تبقى الريالة مفيدة"

يرن الهاتف

" طب إيه المشكلة اللي حقولها لها "

" قدامك نص ساعة وتروح، أنا حظبت الأوضة عشان الضيفة "

ويصعد، تاركني بمفردي

" الو "

" الو السلام عليكم "

تأني، الكلمتين مع بعض تأني

" أيوا يا نادية "

" ها يا خالد، اتفضل قول كل اللي عندك "

" أكيد "

آخذ نفسًا طويلاً وأخرجه بتنهيده

" احنا حنتكلم على حقائق، أنا عمري ما حبيت اللف والدوران، وأعتقد إنك عرفاني، كان في يوم ما بينا حاجة، وكانت حاجة جميلة وبريئة، لكن ما اتكتبلهاش إنها تكمل بسكتها الطبيعية، وافترقت الطرق وكل واحد راح في حتة، وأنا عمري ما فكرت أوصل لك طول ما أنتِ متجوزة، رغم إني لسة جوايا حاجة، بغض النظر إن الحاجة دي مالهاش أمل، بس فضلت جوايا، دلوقتي أنا مابقولكيش نرجع ونحب بعض ولا أي حاجة، ولا أنا استاهلك حتى، كل اللي بقوله إن إحنا عندنا فرصة نبتدي صداقة زي زمان، تجربة تجربيها، أنتِ صغيرة يا نادية، مش حتكملي حياتك لوحدك أكيد، وأكيد أنتِ دلوقتي بتموتي من الملل، أكيد في فراغ كبير في حياتك، وبيوسع كل يوم، أنا مابقولش إني حملاه، بس بقولك إديني 10 سنتيمتر في حياتك أكون فيهم كصديق، مش أكتر، والمستقبل دة بتاع ربنا، إحنا مانعرفوش "

لعبة الملل، سلاح قاتل لو أمسكته، سأصطادها به

" وحتعمل إيه في الـ 10 سنتي دول يا عماد "

" حكلمك على الموبايل من فترة لتانية، أسمع صوتك وأطمن عليكي "

تصمت لثواني

" موبايل بس ؟"

" أكيد "

تسكت ثواني

" محتاجة فرصة تفكري "

" ممكن "

" خلاص فكري، ولو وصلتي لرد، ابعتيلي رسالة، مش لازم تكلميني لو تقيلة عليكي "

" خلاص اتفقنا "

" ماشي، تصبحي على خير "

" باي "

إيش معنى في القافلة باي بس من غير السلام عليكم، المفروض باي السلام عليكم

" عماااااااد "

اسمعه يشتم رشا – اتون بلفظ خارج

" دا اللي علمتهولك سحر – تون "

" عملت إيه "

" حتفكر، بس شكلها اقتنعت "

" طب كويس، ممكن تغور بقى "

" ماشي يا عم، يعني جايب زينب خاتون عندك البيت "

" ولا ولا ماتتكلمش، أنت بقك دة بيعصبني "

" أجيب لك كاندم "

" أمشي لاحاحشيك "

أتوجه للباب

" سلام يا عم "

" اتنيل "

أخرج وأتمشي لأركب سيارة أجرة، صرفت أكثر من الميزانية بشيء طفيف

أذهب إلى البيت كالعادة،

أدخل، لا أحد بالمنزل، حظي جيد رائحة الخمر تفوح لدرجة أن سائق التاكسي كاد يتقيئ على قدميه،

أدخل لأستحم، وأخرج إلى غرفة النوم، رسالة على الهاتف

نادية

" موبايل وبس "

" مش محتاج أكتر من كدة يا شربتات "

أرمي نفسي علي السرير

خخخخخخخخخخخخخخخخخخخخخخ

****

أستيقظ وأذهب إلى العمل كالعادة، لم أعد نشيطًا كما كنت، إذا كنت نشيطًا أصلا قررت أن لا أحدثها لفترة ثلاثة أيام بلا حتى رسالة، اليوم الرابع، قررت أن أكلمها أصنع كوبًا من القهوة نظرًا لعدم توافر الخمور، أجلس على السرير

نفس عميق، زفير بهدوء

اتصال

" الو "

" الو السلام عليكم "

" وعليكم السلام يا خالد "

" إزيك "

" الحمد لله "

" إيه فينك مش باينة "

"أهوه، في الدنيا "

" إحكي لي عن يومك يا نادية "

إذا أردت أن تشعر شخص بالملل، اجعله يتكلم عن حياته، الاستراتيجية أن نضخم حجم الملل في حياتها،

" مافيش عادي، عند ماما، في البيت في التجمع، بخرج أروح الدرس أو المقرأة "

" ماشاء الله "

" كدة عادي يوم واحدة طبيعية "

" مافكرتيش تشتغلي "

" قالولي إخوات جوزي أنزل المحل شوية، بس أنا رفضت، مابفهمش "

" بس حيقتل لك الفراغ الكبير اللي في حياتك "

" الحياة مش صعبة كدة قوي "

" الحمد لله على كل حال "

" وأنت بتعمل إيه يا خالد"

" من البيت للشغل للبيت، مفيش أحداث إلا في الشغل "

" مافكرتش تتجوز "

" ماما فكرت كتير "

" وبعدين "

" لقت نفسها كبرت على الموضوع دة، وإن مافيش رجل حيملي حياتها زي بابا "

أسمع صوت ضحكتها، كنت قد نسيته

" أنت لسة زي ما أنت "

" إيه اللي حيحصل، حيطلعلي دراع تالت مثلاً "

" تتغير شوية "

" لا صعب، أنت عارفة أن مش سهل الانخراط في المجتمع "

" أكيد..... سامية عامله إيه "

" جوزها مسافر ومتلقحة عندنا شوية "

تضحك تاني

" أنا بعز سامية جدًا، أكتر واحدة كانت بتسأل عليا "

" لا وهي تتعز الأمانة "

" أنت مالك، قارش ملحتها "

" لا عادي، بتقفش بس على كلام أهبل "

" ربنا يخليكوا لبعض يا خالد "

" ويخليكي لينا يا قمر، يا ست الكل "

صوت ضحكتها

الجنس ليس كل شيء، هناك نشوة لا تعرفها النزوات والرغبات

" ماشي يا عم "

" حسمع صوتك قريب "

" إن شاء الله ... باي "

" باي "

سعادة، مجرد مكالمتها سعادة، القلب يرى ما لا تراه جميع الجوارح والحواس

واستكمل يومي المعتاد

****

خمسة أيام بعدها

" الو السلام عليكم "

" وعليكم السلام "

" إزيك يا حاجة نادية "

" يا هلا بيك "

" بارك الله فيكي يا حاجة "

" وأنت كمان يا ظريف "

" عاملة إيه في حياتك "

" الحمد لله ... وأنت "

" أكيد سعيد طول ما بسمع صوتك، حاسس إن في حاجة جديدة في حياتي "

" طاب كويس أنا كدة كمان مبسوطة "

" الحمد لله "

" لسه متخانق مع سامية "

" لا عادي "

" أكيد مش عادي "

" حنتصالح مسألة وقت "

" تحب أكلمها لك "

" دة لو مش عايزة تسمعي صوتي تاني "

" لا خلاص "

" بالظبط "

" أنا عندي مشوار ممكن تكلمني بعدين عشان عند ماما وحتستعجلني "

" أكيد "

" باي"

" باي "

****

خمسة أيام أخرى

" كان درس كويس وكان معايا صاحباتي في الجامع، لازم تجرب تاخد دروس يا خالد"

" لو معاكو ماشي "

" خفه "

****

بعد أربعة أيام

" بس الشغل عندنا روتين أغلب الوقت، ساعات في شوية أكشن وجرد وكدة "

" وأنت مبسوط فيه "

" أكيد لا "

" هههههههه "

****

كمان ثلاثة

" بس أنا ما كونتش متوقع إنك توافقي تكلميني، توقعت لما أكلمك تردي رد تاني "

" زي إيه مثلا "

" زي (مفيش حد بالاسم دة) أو (نادية دي تبقي مراتي يا كلب) "

" مراتي !!!!! "

" ظاهرة الشذوذ دمرت المجتمع يا بنتي "

****

يومين تاني

" بس أنت ما حبتش حد طول الفترة دي "

" أكيد "

" غير أمك وأختك "

" طبعًا "

" مين "

" صابر المكوجي "

****

يوم آخر، هي التي تتصل

" أنت مابتخرجش يا خالد "

" أومال .....كل حتة ممكن يكون فيها بقالة أمي بتوديهاني "

" لا برة "

" الشغل بخرج معاهم كتير، خصوصًا الشباب الصاعد اللي عارف كل حتة في البلد " استطرد

" إيه نفسك تخرجي ؟"

" أكيد "

" تروحي فين ؟"

" أي حتة أوبن إير "

" ممكن أكون أنا فيها "

" ممكن يا خالد "

سهلة جدًا، ترمي لها بسقف الملل وترمي لها حبل علاقة قديم، لتصنع مشنقتها بنفسها

بركاتك يا شيخ عماد

" بس حنخرج بطقم النينجا اللي بتلبسيه دة ؟ "

" لا ما أنا قلعته وبلبس عادي "

" شوفي أنتِ عايزة تروحي فين وأنا أستناكي "

" التجمع، عارف الداون تاون "

" أكيد "

" في هناك محل اسمه بول، استناني عنده "

" الساعة كام ؟"

" بكرة الصبح..... آه أنت في شغل أنا اسفة "

" اعتبريني أجازة "

" بجد مش حتضايق "

" أكيد لا "

" بكرة الساعة 11 "

" خلاص تمام "

" باي"

" باي "

أغلق الخط، وأقف للحظة

" كنا حنبني و أدينا بنينا السد العالي "

أغني وأنا أسير في الشقة

سامية

" أديني مابروحش في حتة، اتبطيتي "

" يا رب على طول "

" قفاشة كلبة متسلطة "

" رخم "

وتضحك، ربنا هداها

غدًا يوم ليس عادي

****

جلس في پول

الساعة الحادية عشر، لم تظهر

خمسة دقائق لأجدها تتمشي تجاهي

كما هي، كالنبيذ كلما مرت عليه الأعوام كلما زاد جمالاً وقيمة

ترتدي فستانًا أسودًا واسع وحجابًا أسودًا يجعل لونها الأبيض كالحليب

تبتسم، بداية مبشرة

أقف لها وأشد كرسيًا

" خالد "

" عيون خالد "

هي بنظرة تحذيرية

" نعم "

" مش قصدي، بس اتفاجئت "

" إيه عشان اتغيرت "

" أنت ما اتغيرتيش نهائي "

" بكاش "

" وحياة پول ماحصل "

تضحك لتزداد السماء شمسًا

" عامل إيه "

" مبسوط لآخر الانبساط "

" الحمدلله، وأنا كمان "

" أنتِ ساكنة قريب"

" في الشويفات "

" فين يا ماما "

" شارع مشهور هنا، خمس دقايق من البيت "

" كويس، بس إيه سبب الانفارجة دي"

" حسيت إني مليت يا خالد، وأنا لوحدي، لو هنا أو عند ماما، برضو لوحدي "

" الملل أسوأ شيء ممكن يصيب الواحد "

" بالضبط "

" حنطلب إيه "

" اطلبي لنفسك واطلبيلي وأنا حدفع "

واضع قدم على قدم بشكل كوميدي، فتضحك

تضحك كأنها لم تضحك من قبل

" أنت مسخرة "

"الله يخليكي .... بس أنا والنعمة ما فاهم المطعم السيس دة فا اطلبي أنتِ حاجة على ذوقك "

" ماشي يا سيدي "

نتحدث هذه المرة بحرية، هي كانت مكبوتة، ووجدت ضالتها فيّا

تنتهي الخروجة التي استمرت ساعتان وأنا أركب مواصلات تلك المرة توفيرًا للمواصلات

أمسك الموبايل وأتصل بسبب السعادة وأصرخ فيه عندما يرد

" عمااااد "

" أبو شكلك "

" أنت فين يا رجل"

" أبو أهلك "

" وأنت واحشني أكتر "

" عايز إيه "

" أنا كنت خارج مع نادية "

" أووووه، دة أنت موهبة وأنا مش عارف "

ويضحك كثيرًا

" أنت فرحان ليا طبيعي، ولا دة عيد تعامد الشمس على وش أمك أنت التاني "

" يا عم ربنا يوفقك"

" شكرًا "

" وحتوصل لحاجة "

" ربنا يسهل "

" مع نفسك قصدي "

" لو هي دخلتني في حياتها، أعتقد إن ربنا حيهديني، هي ملتزمة جدًا "

" طيب كويس، يبقي كدة شكلك حتروح للشيخ "

" وكله بفضلك يا عم الشيخ "

" بركة، أنا بركة يا ابني "

" طب مش حتيجي معايا للشيخ"

" ربنا يسهل وأحصلك "

" ماشي يا سيدي، مستنيك "

" سلام يا خوليو "

" عماد الدين، تصحبك السلامة "

أغلق وأتجه إلى البيت

أتمني للسعادة الاكتمال

****

نخرج مرتين بعدها، كلها في الداون تاون

أريد أن أحكي لسامية، لكن ليس الآن، حتى أتأكد من نادية أولاً

أصبحت أفضل مزاجًا وأشعر بالراحة

بدأت بالصلاة عند الاستيقاظ، والمواظبة قادمة إن شاء الله

الحياة على الطريق

الهاتف يرن وأنا عائد من العمل بعد أول لقاء بعشرة أيام

نادية

" الو "

" خالد "

صوتها متوتر للغاية

" في إيه يا نادية "

" ممكن تيجي البيت "

" ليه في إيه "

" ممكن تيجي "

" التجمع "

" آه "

" في السكة "

" حبعتلك العنوان مفصل في رسالة..... باي "

" باي "

ماذا حدث، قلبي يشعر بعدم الاطمئنان

أغير وجهتي إلى هناك، أخذت ساعة حتى وصلت إلى التجمع، طبعًا اضطررت من هناك لركوب تاكسي حتى يوصلني إلى العنوان، أتوه قليلاً ولكنني أصل في النهاية

فيلا أخرى أنيقة تعيش بها، تشبه فيلا عماد الدين،

أتصل بها فتغلق المكالمة، وتفتح البوابة الحديدية وتقف عند الباب، مرتدية ملابس عادية للخروج، يظهر عليها التوتر، أدخل أولا وأجلس على أول كرسي يقابلني، وتجلس هي في المقابل لي،

" في إيه يا حبيبتي "

" أنا تعبانة يا خالد "

" مالك طيب بس، إهدي و فهميني "

" تعبانة "

كم التوتر يوحي بأن هناك شيء ليس طبيعي

" إهدي، خدي نفس "

تحاول ان تنفذ كلامي

" احكي لي بالراحة "

" كنت عايزة أجيب حاجات، قلت أنزل أجيبها "

وتسكت

" وأنا راجعة في واحد فضل ماشي ورايا، أعدت أمد أمد أمد، وهو ورايا، دخلت البيت، فضل يلف حوالين البيت، أنا خايفة قوي يا خالد "

" ما فيش حاجة، أنا جيت أهوه، اطمني وإهدي "

" ححاول "

تجلس في هدوء وهي تحضن نفسها،

وفجأة

تقوم وتندفع وتحضني بقوة

الهلع هو أقل ما يمكن أن يقال عليها

" ما تسبنيش يا خالد "

" مش حاسيبك، تحبي أروحك عندنا المنطقة "

" لا، ماتسبنيش "

قلبها يدق كطبول الحرب، تفضل متعلقة بي كطفلة خائفة في حضن أبيها،

تهدأ بعد 15 دقيقة كاملة

وهي مازالت متمسكة بي

أنظر إليها وهي تحتضن ذراعي، وأقبل جبينها،

فتنظر إلي

و تقبلني

شفاه في شفاه

أحاول أن أبعد شفتي عنها فتحتضني أكثر

" في إيه يا نادية، إهدي "

لا ترد

فقط تقبلني

وتشد الحجاب عن شعرها وتبدأ في خلع ملابسها وأنا احاول أن أمنعها، لو أنني كنت مخمورًا لكان الوضع مختلفًا، لكنني طبيعي، أحاول أن أثنيها عما تريد

تنظر إلي بغضب

" أنت مش بتحبني يا خالد "

" مابحبش حد غيرك "

" خلاص سيبني "

لحظة ضياع بالنسبة لي، إن رفضتها فقد أخسرها للأبد، وإن تجاوبت معها قد تندم بعد ذلك وأيضًا سأخسرها للأبد

بينما أفكر كانت قد بدأت تنظر إلي نظرات ترعبني

فحملتها وسرت وهي توجهني إلى غرفة النوم

وبدأت تخلع ملابسها، في عصبية،

أقلع ملابسي وأرغمها على النوم على ظهرها، محاولاً أن أدلك ظهرها لعلها تسترخي،

وشم كبير على ظهرها وعلى مناطق مختلفة

من هي؟

تلتفت إلي وتنظر بنظرة شهوانية بحتة

"أنا مستنياك من زمان "

ثم .....

لا وعي

****

وعي

بعدها بساعة

تجلس في حضني وتنظر إلي براحة مستسلمة،

بينما أنا من يشعر بعدم راحة غير طبيعي،

لماذا؟

صورتها التي رسمتها دمرتها هي لي

وما تلك الوشوم ؟

من تلك التي تنام بين ذراعي عارية

" انبسط "

" آه "

" شكلك ما انبسطش "

" لا انبسط "

تضحك

" ابسطك تاني "

" شكرًا "

" مالك يا خالد "

" مش مرتاح "

ينعقد جبينها

" ليه ؟"

" أنا أكيد كان نفسي في دة، بس كان نفسي نتجوز "

" نتجوز ؟ أنا عمري ما حتجوز تاني "

ينعقد جبيني

" أومال إحنا مستقبلنا إيه ؟"

" زي ما إحنا كدة "

أجلس على السرير وقلبي يكاد يقف

" يعني إيه ؟"

" يعني أنا استحالة أتجوز تاني، ولو بتفكر كدة إنساني أحسن يا خالد "

أنظر إليها، لا أستوعب أي شيء حتى الآن

" اخترت إيه يا خالد ؟"

لا أتحدث

فقط أقف وأبدأ في ارتداء ملابسي

" خالد..... رد عليا "

لا أرد، الذهول جعلني لا أستطيع التحدث

" خالد رد بقي "

تبدأ لهجتها في عصبية

لا أرد فتبدأ بالصراخ

" رد .. رد .. رد "

" أرد على إيه، على الصورة اللي اتدمرت قدام عنيا، منقبة ومتدينة، وعايزة تكملي حياتك معايا على السرير، زي أي واحدة رخيصة، وأنا اللي كنت عايز أصونك "

عينيها تدمع

" أنا رخيصة..... أنا "

" اللي بتعمليه يخليك كدا رخيصة "

تتكلم والدموع تطل من عينيها

" أنت أول واحد ادخله شقتي "

أرد بعصبية

" أنا ما أعرفش الكلام دة، أنا ماشي يا نادية "

" أنا عمري ماعملت كدة إلا معاك"

عينيها تنهمر بالدموع بينما الغضب يعصف بي

أتركها وأمشي ناحية الباب

" استنى "

صوتها يعلو من الداخل

تخرج من غرفة النوم عارية وتجري على غرفة أخرى، يبدو أنها مكتب، تقلب في بعض الأشياء، صوت خطواتها تدب على الأرض بقوة،

" مش أنا رخيصة في نظرك، أنا حوريك إنني مش لوحدي اللي رخيصة، وأنا يا عم الشريف برخصي، أشرف منك ومن أهلك "

تضع في يدي كومة من الورق وتدفعني إلى الباب لأفتحه وأخرج

" بر اااااااااا "

أخرج وأمشي من البوابة

أمشي قليلا حتى أجد بعض النور لأفتح الورق الذي أعطته إلي

ثم .....

لا شيء

****

الفصل الثاني عشر

اغفر للماضي

رسالة

أرد عليك أخيرا
يا من كنت روح الفؤاد
يا من كنت في القلب..... عماد
انتظرتك كثيرًا
وانتظرت أن تتغير وتغير سمعتك
حتى تتقدم لي لنعيش الأبدية الهانئة
لكنك لم تتغير
وغيرتني
آمنتك على نفسي فخنتني
راهنت عليك بكل شيء
والأن وقد خسرت كل شيء
سأتزوج
شخص قد لا أحبه ولا أفهمه
ولكنه سيكون طريقي لأنساك
وأنسى فشلك وفشلي
أرسل لك كل خطابتنا سويًا
مع نادية

فأنا قد مسحتك من حياتي

أنت الآن بالنسبة لي

لا شيء سوي سراب

سامية

.....

قرات الخطاب عشرون مرة

و مازالت عيناي لا تصدقان،

أركب سيارة أجرة متوجهًا إلى البيت،

سأقتلها أولا ثم أذهب لأفصل رأسه عن جسده

عماد وسامية

جسدي يرتعش، لن أفكر في شيء

هل العلاقة لازالت قائمة

من سيجاوبني،

لن أستمع لأحد،

الموتى لا يدافعون عن أنفسهم

أصل إلى المنزل، أحاول أن أتمالك نفسي، لا أريد أن تشعر أمي بشيء، قد تقتلها الصدمة

أدخل البيت وأنا أترنح قليلاً

سامية وحيدة في البيت

تقف في المطبخ

أدخل إلى المطبخ أسحبها من ذراعها إلى غرفتي

" في إيه يا ابني أنت"

أمشي بدون أن أتحدث

" أنت اتجننت "

ندخل إلى الغرفة،

أضربها بكفي على وجهها، ليطير وجهها ثم يعود إلي وأنا أمسك الجواب

أعطيها الجواب

تنظر إلى الجواب وعيناها تجحظان

تنظر إلي، والدموع بدأت في الانهمار لا إراديًا من عينيها

" اتكلمي "

" أقول إيه"

" أنا ما يهمنيش اللي مكتوب قد يهمني حاجة واحدة "

امسكها من ذراعها بقوة

" لسه ما بينكم علاقة ؟"

تنظر إلي بحزن شديد ونظرة تدعو للشفقة

" أنت السبب "

أدفعها إلى السرير

" نمتي معاه يا وسخة "

تصرخ في

" أنت السبب "

وتقف على السرير وتصرخ

" انت السبب "

" وأنا اللي اخدتك ليه يا سافلة ؟ "

تسقط على ركبتيها

" عماد كنا بنحب بعض زمان، كنت مش عايزة منه غير إنه يبطل الفساد اللي بيعمله عشان نتجوز، عشان اقنعكوا بيه، هو حاول كتير الصراحة، وفشل في الآخر، وجابني كمان معاه"

تنظر إلي

" وأمك عارفه الكلام دة، ولما اتقدملي وحيد، أمك أجبرتني أتجوزه عشان أبعد عن عماد، عماد اتجنن، حاول يعمل كل حاجة عشان يوقف الجوازة، لما ماعرفش، سافر مع أهله "

تسكت وتمسح دموعها

" كل مرة كان بيجي كان بيحاول يتصل بيا، يقنعني إنه أتغير، وإني لو اتطلقت حيتجوزني، بعتلي الكلام دة مع نادية، بس أنا كنت قاطعة عليه كل حاجة "

وتنفجر في البكاء

" لحد ما أنت جيت قلت لي أنك ماشي معاه، وقتها ماعرفتش أعمل إيه، خفت عليك تروح معاه في نفس السكة، كنت عايزة أحذره وأبعده عنك وعني، كان ممكن أكلم نادية وأقولها تكلمه، بس نادية بقت مش طبيعية من ساعة ما جوزها مات، جوزها جبلها حالة نفسية، ومش عارفة أعمل إيه، وأنت بتستحمى، أخدت رقم موبايله من تلفونك "

ثم نزلت لتجلس على السرير وتضع يدها على رأسها

" وكلمته من موبايلي ويا ريتني ماكلمته "

" أنا ما بقولش إني مش غلطان، بس وحيد ما بيفهمنيش ولا مهتم بيا، كل حياته شغل وكلام عن الحاج، ونادرًا أساسًا ما بيلمسني، وعماد الحاجة الوحيدة اللي حبتها في حياتي وكنت بحاول أهرب منه طول حياتي "

تسكت و تنظر إلي بعصبية

" أنا روحتله البيت كذا مرة يا خالد، كنت محتجاله، بس أنت حتفهم منين، مخك الجزمة والأنانية ضيعوا منك نادية، ضيعني أنا كمان بالمرة "

تنظر إلي وتصرخ

" اتفضل، وريني تعمل إيه "

أنظر إليها في ذهول

" أنا ما كنتش معاكوا في نفس البيت "

عيناي تدمع، العالم ينهار من حولي

عماد، أنت ميت

أتركها وأذهب إلى الباب

" رايح فين يا خالد "

" حقتله 1000 مرة "

تناديني في لهفة

" استنى يا خالد بلاش جنان "

أنزل السلم مسرعًا، أجري في الشارع كالمجنون

أوقف أول سيارة أجرة أجدها، وانطلق إلى بيته

لن أستطيع أن أواجه الحياة مرة أخرى وهو فيها

ضحك علي وفتح لي بابًا إلى الانحراف ونام مع أختي

لقد دمر حياتي إلى آخر ما فيها

أغلي

دمي يغلي

أصل إلى منزله، أنزل وأترجل حتى باب الڤيلا، الباب مفتوح

أدفع الباب وأدخل لأجده واقفًا على البار وحيدًا

" خوليووووو "

أدخل بهدوء وأغلق الباب وأسير ناحيته بخطوات بطيئة

" سامية كلمتني وقالتلي أنك جاي تقتلني"

ويستطرد وهو يصب كأس

" وهي بتسلم عليك وبتقولك اعقل "

جنب الكأس هناك مسدس

" اقعد يا خالد على الكنبة "

يمسك المسدس ويضعه في جيبه، يصب كاسين من الفودكا، يضع واحد أمامي ويمسك الآخر، ثم يجلس على الكرسي المواجه للأريكة التي أجلس عليها

"منفعل ليه يا حبيبي ؟"

" تعتقد ليه ؟"

" عشان نمت مع نادية، وقلتلها إنها رخيصة، ماقلتش الكلام دة ليه لهادية مثلا ؟ رايح تقوله لحب حياتك ؟"

" أنت عارف ؟"

" كلمتني، أنا أساسا كنت عارف هي كان نفسها فيك أكتر ما أنت نفسك فيها، جوزها كان سيء لأبعد الحدود، كان بيعذبها وبيراقبها على طول، متسلط وسادي، جالها بارانويا وبتتعالج نفسيًا، واضح إنها تعبت كتير بعد ما أنت سبتها تتجوزه "

يشرب من الكاس ويشاور إلي أن أشرب، أحتاج مخدر، وما في يدي هو الأنسب أشرب معه وأنا أرمقه بنظرة احتقار وغضب

" أنت عايز تنتقم ليه أستاذ خالد "

" مش محتاج شرح"

" لا محتاج، عشان أنت غبي كالعادة، او ممكن أقول أناني "

يقف

" إيه اللي أنا عملته غلط معاك "

يمسك الكأس ويرشف منه ثم يستكمل

" نمت مع أختك، شفتني بنام مع واحدة أخت واحد صاحبي وما سمعتش اعتراض، أختك متجوزة وجوزها مسافر، هادية متجوزة وجوزها مسافر "

ينظر إلي ويشاور بأصبعه

" أنت نمت مع هادية وما حستش بتأنيب الضمير ولا الذنب ولا أي حاجة، ليه عايزني أنا وسامية نقعد نبكي ونطلب منك صك غفران "

كلما تكلم كلما زاد الضغط وارتفع الدم في رأسي

" إيه الحاجة اللي تحاسبني عليها "

" أنت برئ يا عماد، ما خدعتنيش ولا خنتني ولا أي حاجة ؟"

" ما خدعتكش، أنا علمتك الحقيقة وواجهتك بيها وأنت نفسك المفروض أنك قادر تفكر وتفهم، إيه المانع إن أختك تنام معايا، طول ما أنت بتنام مع نادية وهادية، كدة Fair"

يقتلني ببطء شديد

" ولا أنت شايف إيه "

أرد بهدوء

" أنا مش شايف حاجة "

يصرخ مرة واحدة

" عشان فاشل، وغبي وما بتفهمش، اللي عايزك تفهمه أنت وأختك، إن لما تكون بايظ ومدمن، صعب أنك تبقي إنسان عادي، بتحتاج حد يشدك، وهي حاولت تشدني فعلاً، ولما نمت معاها قبل ما تتجوز، كان عشان أربطها بيا أكتر، لكن اتجوزت وأنا اتعدلت، بطلت مخدرات وبطلت كل حاجة، عارف بطلتها ليه يا جحش ؟"

ينظر إلي باحتقار

" عشان ندمت على إنها ضاعت مني، وكان نفسي في فرصة تانية "

يشاور إلي بالزجاجة ويظهر أنه شرب الكثير من عدم اتزانه

" أما أنت يا فاشل، شفت حبيبت عمرك تمشي ما جريتش وراها، وعدت أكنها القهوجي اللي بياخد من قدامك الكوبيات الفاضية، أخدها ومشي ولا أنت حاولت تمد إيدك حتى، وحتضيعها تاني عشان أنت رغم كل الخطايا اللي عملتها، ماكفتكش، لسة شايف نفسك أحسن مني ومن أختك ومن نادية اللي لما رمت نفسها في حضنك عشان تحس بالأمان شفتها رخيصة "

" أنت فاشل بالفطرة "

يصرخ ويبدأ في أخذ زجاجات البار ويلقيها علي وعلي الأثاث بشكل عشوائي

أقفز خلف الكنبة وأنتظر مرور الزجاجة القادمة، أجري ناحيته وأقفز عليه لنقع كلانا على الأرض

المسدس يطير بعيدًا

باب الڤيلا يطرق بعنف، صوت سامية في الخارج

أجري ناحية المسدس وأمسكه، لم يقم ولم يحاول أن يسبقني إلى المسدس، بل جلس على ركبتيه ينظر إلي وأنا أصوب المسدس إليه

إعصار في مخي، ما بين كل ما حدث لا أعرف ماذا أفعل سوي أن أنتهي منه

" افتح يا خالد .. يا عماد "

صوت سامية ويبدو أن أحدهم معها يحاول كسر الباب

عماد ينظر إلي بحدة وابتسامة

" القتل ... الخطيئة الكبرى التي لا تغتفر، تعتقد هي دي اللي حتهديك "

أنظر له ولا أعرف ماذا أفعل، عضضت على شفتي فجرحت من فرط الغيظ،

ماذا أفعل ؟

يبتسم إلي

" للمعلومة صدر أختك قريب من صدر سمر، بس يمكن أطرى شوية "

أنظر إليه بغضب، فيضحك

" ما أنا كدا كدا حنام معاها تاني "

أضغط الزناد

قفل السلاح مغلق، فأفتحه ببرود وقد أتخذت القرار

يبتسم إلي ويفتح ذراعية

" أهلا بيك على قمة الخطيئة "

لا أشعر بشيء

لم أسمع صوت الطلقات

هو فقط غارق في دمه

الباب ينكسر

سامية تجري الي الداخل

تتركني وتحتضن جثة عماد و هي تصرخ باسمه

لا أسمع شيئا

فقط أسقط على ركبتي

والدموع في عيني

ولا شئ آخر

.....

الساعة السادسة والنصف صباحًا

لا منبه

لا شيء

سوي أربع جدران رمادية وسقف

ومصحف وسجادة للصلاة

عرفت الآن معني الندم

خسرت كل شيء

أكنت محتاجًا إلى كل تلك الصدمة ؟

وكأن عماد كان يعرف

القاضي كان رحيم بي

آثار بصمات عماد على الزجاجات المحطمة وعلى المسدس ونسبة الكحول في دمه

جعلتها تبدو كالدفاع عن النفس،

فكان الحكم مخففا

عاد وحيد، وحصلت سامية على الطلاق

لم تزرني منذ أن أتيت هنا

لا ألومها

نادية زارتني، وهي تشعر بالذنب بأنها السبب، ووعدتني بأنها ستنتظرني

أجلس اليوم كله أحاول التقرب إلى الله لعله يغفر لي ذنبي

الآن فهمت

فهمت أن لا عيب في الذنب، بل العيب فيمن يراه

عرفت أن الخطيئة قد تعلمك أكثرعن الخير

وأن لا أحكم على أحد بأي شيء

فالنهاية

ليس نحن من سنحاسبه

حكمت على سامية بالفساد ولم أقدر أنها كانت مثلي معلقة بحبها الوحيد،

أخطأت مع عماد، كما فعلت مع نادية

حكمت على نادية بالفساد و لم أرَ أنها تهرب من جحيم الماضي وتبحث عني

استغللتها حتى تعيدني إلى الصواب، فدعوتها للخطيئة

حكمت على كل من حولي بالفساد

وأنا الفاسد الوحيد

لا أريد شيئًا

لو عاد بي الزمن لتركت السلاح وقبلت يد عماد

كم اشتقت لحكمته ومزاحنا سويًا

سأنتظرك

سأنتظرك يوم القيامة لأعطيك ما أملك من حسنات لعلها تساعدك يوم الحساب

أنا آسف إنني قطعت أعمالك

لعلك كنت ستتوب يومًا ما

أنا آسف إنني لم أكن لك كما كنت أنت لي

أنا آسف

يا عماد،

يا سامية،

يا نادية

أنا نادم .